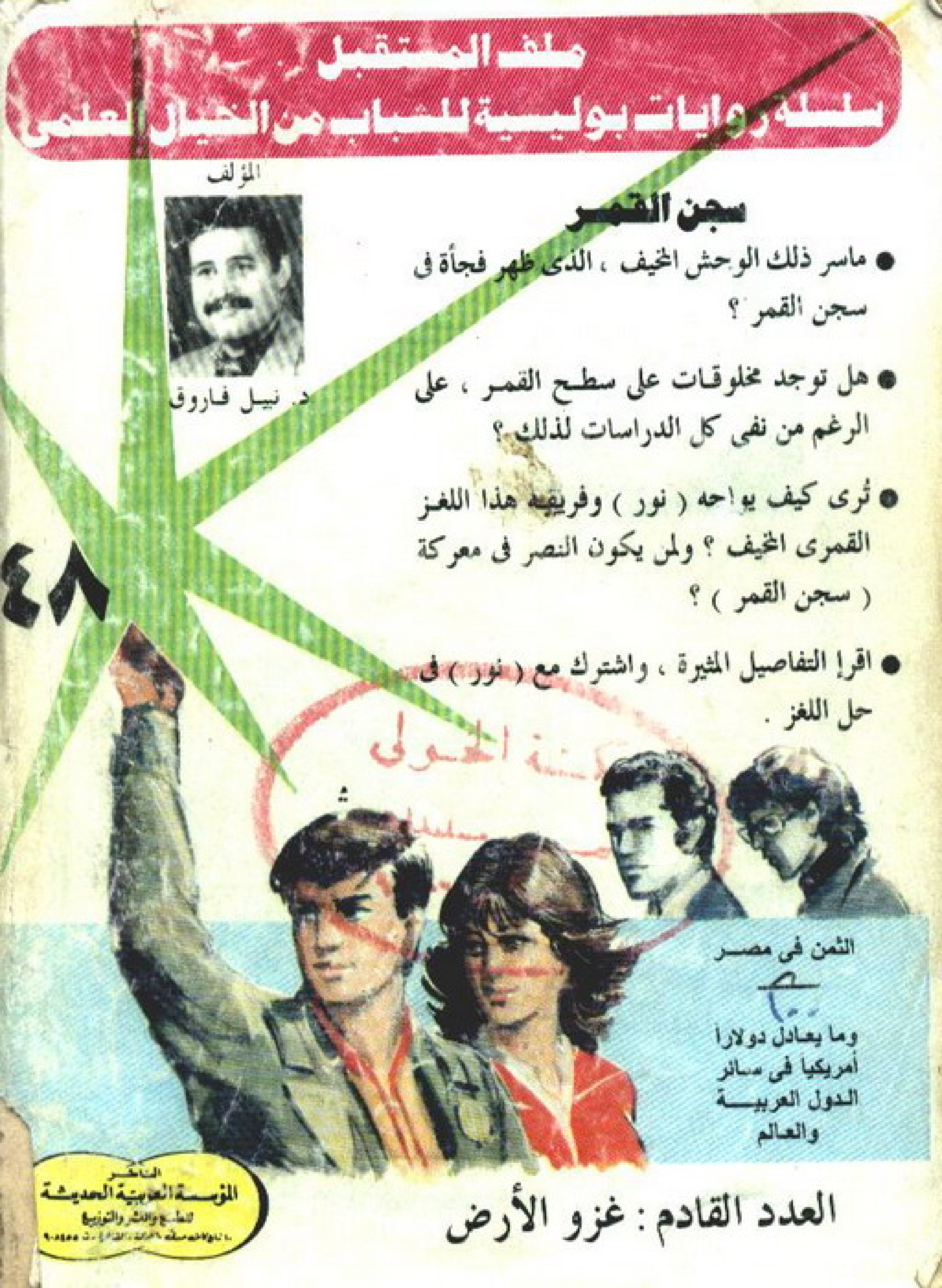

روايات
مصرية للجيب
ملف المستقبل
٤٨
سجن القمر
Looloo
www.dvd4arab.com


ملف المستقبل
سلسلة روايات بوليسية للشباب من الخيال العلمى
المؤلف
د. نبيل فاروق
سجن القمر
ماسر ذلك الوحش المخيف ، الذى ظهر فجأة فى سجن القمر ؟
هل توجد مخلوقات على سطح القمر ، على الرغم من نفى كل الدراسات لذلك ؟
تُرى كيف يواجه (نور) وفريقه هذا اللغز القمرى المخيف ؟ ولمن يكون النصر فى معركة (سجن القمر) ؟
اقرإ التفاصيل المثيرة ، واشترك مع (نور) فى حل اللغز .
٤٨
الثمن فى مصر
وما يعادل دولارا أمريكيا فى سائر الدول العربية والعالم
الناشر
المؤسسة العربية الحديثة
للطبع والنشر والتوزيع
العدد القادم : غزو الأرض



١ ــ رعب على سطح القمر ..

انطلق أزيز قوى، عبر مكبِّرات صوت خاصة، معلنًا انتهاء نوبة العمل، فى المزرعة التابعة لسجن القمر، ذلك السجن الخاص، الذى أقيم على الجانب المضاء من القمر، عام ألف وتسعمائة وتسعة وتسعين، لنفى عتــاة المجرمين من كل الجنسيات، والذين تصل جرائمهم إلى حد تهديد الدول والأمم والبلدان، والشعوب الآمنة فى كوكب الأرض ..

ولقد برزت فكرة إنشاء هذا السجن الخاص، بعد أن سادت العالم موجة من العنف، مع النصف الثانى فى تسعينيات القرن العشرين، تزعمتها مجموعة من العصابات القوية، التى أرادت أن تعيد عهود العصابات المنظَّمة، بعد أن أعلن زعماء دول العالم ميثاق التعاون الدولى، وتبادل الأغذية والخبرات، ومعاونة الدول النامية على النهوض والحضارة ..

وفى اجتماع خاص للأمم المتحدة، تقرَّر نفى زعماء هذه العصابات، من كل بلدان العالم، إلى سجن خاص فى القمر،

حيث يستفاد بهم فى إجراء الأبحاث الخاصة بزراعة أرض القمر ، حيث تبلغ التربة قمة الخصوبة ، وتصل الجاذبية إلى سدس مثيلتها على كوكب الأرض ..

وخلال عام واحد تمّ إنشاء سجن القمر ..

وكان ذلك السجن عبارة عن مبنى كبير ، مكوّن من عدة حجرات للمساجين ، ومزرعة ممتدّة إلى مسافة كيلومترين من كل جوانب المبنى ، وتغلّف كل هذا قبة زجاجية مصفّحة ، يمكنها مقاومة كل العوامل الجويّة ، ويقوم بحراستها والدفاع عنها طاقم مكوّن من عشرة جنود من رجال شرطة الفضاء ، تتغيّر نوباتهم كل شهر ، فيعودون إلى الأرض ، ويحلّ محلهم طاقم آخر ..

وتحت هذه القبّة أجهزة كمبيوتر خاصّة ، تعمل على ملاءمة الجو داخلها ، بحيث يشبه نفس الجو على كوكب الأرض ، من حيث الضغط ، والجاذبية ، ودرجة الحرارة ، ونسبة الأكسوجين فى الهواء ، وكل العوامل الضرورية الأخرى ..

باختصار .. كان هذا السجن قطعة من الأرض ، على سطح القمر ..

وكان السجن ــ حينما بدأت قصتنا يضمّ بين جوانبه عشرين مسجونًا لاغير ، يعملون فى مزرعته ، ويشرف على عملهم ثلاثة من علماء التربة والتغذية والزراعة ، ولم تكن حراسة هؤلاء المساجين ــ على الرغم من خطورتهم البالغة ــ تحتاج إلى كثير من الجهد ، فالفرار من سجن القمر مستحيل ، فبمجرّد تجاوز قبته الخاصّة ينتقل الإنسان إلى مناخ مخالف تمامًا ..

مناخ القمر ، حيث لاغلاف جوى ، أو أكسوجين ، وحيث تتراوح درجة الحرارة بين مائتين وخمسة عشر ، ومائتين وخمسين درجة فهرنهيتية ، مما تستحيل معه حياة أى مخلوق بشرىّ ..

لذا فلم تحدث محاولة هروب واحدة منذ إنشاء سجن القمر ، حتى استحال عمل طاقم الحراسة روتينيًا عاديًا ، مثيرًا للضجر والملل ، وصار أسعد أيامهم هو يوم تبديل الحراسة ، حيث يعودون إلى الأرض شهرًا كاملًا .

ولقد كان ذلك اليوم ، وهو اليوم السابق لليوم الموعود ، ولقد بدا طاقم الحراسة شديد المرح ، حينما ارتفع أزيز انتهاء نوبة العمل ، وقاموا باقتياد المساجين إلى غرفهم ، وأغلقوها

خلفهم فى إحكام ، ثم اتجه كل منهم إلى غرفته ، وهم يتبادلون الدعابات ، التى تؤكد سعادتهم وفرحهم .

وربَّت (فريد) ــ أحد الحرّاس ــ على كتف زميله (هانى) ، وهو يقول فى مرح :

ــ هل تحبّ أن تتلقَّى هزيمة نكراء ، فى لعبة الشطرنج كالعادة ؟

ضحك (هانى) وهو يقول :

ــ حذار من قولك هذا ، فالأمور تتبدَّل كثيرًا ما بين يوم وآخر ، وربَّما كانت الهزيمة من نصيبك أنت هذه الليلة .

لوَّح (فريد) بكفه فى زهو ، وهو يقول :

ــ حاول يا صديقى .. لا بأس من محاولتك ، ولكنك لن تبلغ مهارتى قط .

هتف (هانى) فى حماس :

ــ سنرى .

اتجه الاثنان فى حماس إلى حجرة (فريد) ، وهما يسترجعان أدوارهما السابقة فى لعبة الشطرنج ، والجولات التى ربحها كل منهما ، وبينما كانا يجتازان مزرعة السجن ، إلى حيث منازل رجال الحراسة ، تشبَّث (فريد) بذراع رفيقه فجأة فى قوة ، وهو يهتف :

ــ يا إلهى !!.. انظر هناك !

تطلَّع (هانى) إلى حيث يشير رفيقه فى دهشة ، وهتف فى توتر :

ــ ماذا حدث ؟!.. لست أرى شيئاً .

ازدادت أصابع (فريد) ضغطًا على ذراع زميله ، حتى أنها آلمته فى شدة ، وهو يقول فى انفعال :

ــ أقسم أننى رأيت ..

وبتر عبارته فجأة ، وكأنما وجد صعوبة فى وصف ما رأى ، قبل أن يستطرد بمزيد من التوتر والانفعال :

ــ لقد رأيت ذراعًا تنفذ من التربة ، ثم تختفى فى سرعة .

حدَّق (هانى) فى المكان الذى أشار إليه (فريد) فى ذهول ، ثم قال فى عصبيَّة :

ــ أى هراء هذا ؟.. لست أرى سوى تربة ساكنة ، وبعض سنابل القمح القمرية .

كانت سنابل القمح القمرية تبلغ أربعة أضعاف حجم وارتفاع سنابل القمح المعروفة على كوكب الأرض ، إلَّا أنها كانت أقل كثافة ، مما ترك بينها مسافات واضحة ، وأشار (فريد) إلى إحداها وهو يهتف فى حِدَّة شديدة :

— أقسم لك أننى رأيت ذلك .. لست واهمًا أو مجنونًا .

هزَّ (هانى) رأسه فى حَيْرة ، ثم قال :

— حسنًا .. سنذهب معًا إلى هناك ، وستجد أنه كان مجرَّد وهم .

اتجه الاثنان فى حذر إلى النقطة التى أشار إليها (فريد) ، وانحنى (هانى) يتأمَّل التربة فى اهتمام وقلق ، ثم لم يلبث أن ابتسم ، وهو يلتفت إلى زميله قائلًا :

— هل رأيت ؟!.. إنه خداع بصرى فحسب .

عقد (فريد) حاجبيه ، وهو يتطلَّع إلى المنطقة فى توتر ، ثم غمغم :

— ولكننى رأيته .

ابتسم (هانى) ، ومدّ يده يداعب التربة ، وهو يقول :

— لا يوجد شىء يا صديقى .. انظر .. إنها مجرَّد تربة قمرية عادية و ..

انتفض جسده فجأة ، وسرت فى جسده ارتجافه مخيفة ، وقفز قلبه من بين ضلوعه ، وجحظت عيناه فى رعب هائل ، وقفز زميله إلى الخلف فى فزع رهيب ، حينما اندفعت من التربة ، ذراع بنية داكنة ، مغطَّاة بحراشيف تشبه حراشيف الثعابين

السامة ، وقبضت بأصابعها القوية ، ذات الأظفار الحادة المدبَّبة ، على معصم (هانى) ، الذى حاول أن يجذب يده فى رعب ، وهو يهتف :

— كلَّا .. كلَّا ..

وأسرع (فريد) ينتزع مسدسه الليزرى ، وأراد أن يطلقه على تلك الذراع المخيفة ، لولا أن تصلَّبت أصابعه ، وكاد قلبه يتوقَّف أمام ما حدث فى تلك اللحظة .

لقد برز فجأة ، من أسفل التربة ، مخلوق عجيب ، له رأس مخيفة ، وعينان واسعتان فى لون الدم ، وبدا شديد البشاعة بجسده المغطى بالحراشيف الصلبة ، وهو يجذب إليه (هانى) فى قوة ..

وقاوم (هانى) فى رعب هائل ، وهو يطلق صرخات رهيبة ، ولكن المخلوق فتح فمه الواسع فجأة ، فبرزت أنيابه الحادة الطويلة ، واندفع من بينها لسان رفيع مشقوق ، بدا أقرب إلى ألسنة الثعابين ، وهو يصدر فحيحًا شبيهًا بها ، قبل أن يغرس أنيابه فجأة فى عنق (هانى) ، الذى جحظت عيناه ، وارتجف جسده لحظة ، وهو يحاول أن يدفع المخلوق البشع بعيدًا ، ثم تراخى وفاضت روحه إلى بارئها ..

وقبضت بأصابعها القوية ، ذات الأظفار الحادة المدبَّبة ، على معصم (هانى) ، الذى حاول أن يجذب يده فى رعب ..

وانتزع (فريد) نفسه من رعبه وذهوله .. دفعة واحدة ، وأخذ يطلق أشعته الليزرية على المخلوق ، الذى راح يجذب جثة (هانى) إلى الحفرة التى صنعها صعوده ، وأشعة الليزر ترتطم بحراشيفه القوية ، وتنعكس عنها فى بريق مخيف ..

وهرع الحرَّاس الثمانية الباقون إلى المزرعة ، بعد أن وصلتهم آخر صرخات (هانى) المسكين ، وحينما وصلوا إليها كان (فريد) يقف مذهولًا ، متسع العينين فى جحوظ ، وذراعه الممسكة بالمسدس الليزرى ملقاة إلى جانبه ، فهتف به أحدهم فى ذعر :

— ماذا حدث ؟

حدَّق (فريد) فى وجوههم فى ذهول ، ثم أشار إلى الحفرة ، مغمغمًا :

— لقد اصطحب جثته ، اصطحبها ليلتهمها فى وكره .

صاح به أحد زملائه ، وهو يهزّه من كتفيه فى قوة :

— من هذا يا (فريد) ؟.. وأية جثة تعنى ؟

بدا (فريد) مذهولًا شاردًا ، وهو يغمغم بعينين زائغتين :

— الوحش .. وحش سجن القمر !!



٢ ـــ من الأرض إلى القمر ..

احتشدت رأس (نور) بعشرات الأفكار والتساؤلات ، وهو يهبط داخل الأنبوب الزجاجى ، المضاء بضوء بنفسجى هادئ ، إلى الطابق الأسفل من إدارة المخابرات العلمية ، حيث مكتب القائد الأعلى ، فالطريقة التى تم استدعاؤه بها هذه المرة ، توكّد أن الأمر بالغ الخطورة والسرّيّة ، فلقد كان يقود سيارته الصاروخية ، فى طريقه لقضاء إجازته الصيفية مع زوجته (سلوى) ، وابنته (نشوى) ، فى مصيف (بلطيم) ، حينما أبطأت سرعة السيّارة فجأة ، على الرغم من دفعه لدوّاسة الوقود ، حتى توقّفت وحدها على جانب الطريق ، وأدرك هو فى الحال أن إجازته قد ألغيت ، وأن عليه العودة مباشرةً إلى القيادة العليا للمخابرات العلمية ، للضرورة القصوى ..

وها هو ذا يقف أمام باب حجرة القائد الأعلى ، الذى انفرج فى هدوء كاشفًا الحجرة الفسيحة ، التى يجلس فى نهايتها القائد الأعلى نفسه ، خلف مكتبه الزاخر بالأزرار ، وشاشات الكمبيوتر والتليفيديو .

وأشار إليه القائد الأعلى أن يتقدّم ، وعاد الباب ينغلق خلفه فى هدوء ، وأدّى هو التحية العسكرية فى احترام ، وهو يقول :

ــ الرائد (نور الدين) فى خدمتك يا سيّدى .

لم يضع القائد الأعلى دقيقة واحدة ، فشرع يقصّ على (نور) تفاصيل ما حدث فى مزرعة سجن القمر ، والتى رواها الحارس (فريد) بعد أن أفاق من صدمته وذهوله ، واستمع إليه (نور) فى مزيج من الدهشة والاهتمام ، حتى انتهى ، فقال فى حَيْرة :

ــ ولكن كيف وصل هذا المخلوق العجيب إلى القمر يا سيّدى ؟.. وكيف اخترق تحصينات سجن القمر ؟

مطّ القائد الأعلى شفتيه ، وقال :

ــ لا أحد يدرى يا (نور) ، ولم يجرؤ أحد حتى الآن على ولوج تلك الحفرة ، التى تركها خلفه ، وإن أحاطها قائد طاقم الحراسة بسور من الأسلاك الصلبة المكهربة ، وأقام عليها حارسين ، انتظارًا لما تسفر عنه الأبحاث والتحقيقات .

عقد (نور) حاجبيه مفكرًا ، قبل أن يسأل فى اهتمام :

ــ ولماذا وقع الاختيار على مصر بالذات ، لتبحث هذه

الظاهرة يا سيِّدى ؟.. أليس سجن القمر منطقة دوليه ، تشرف عليها كل الدول المشاركة فى صنعه وإقامته ؟

بدا الضيق على وجه القائد الأعلى ، وهو يقول فى صرامة :

ــ نحن الذين طلبنا ذلك يا (نور) ، فلقد وقع الحادث فى أثناء وجود طاقم الحراسة المصرى ، وعلينا نحن أن نثأر لرجلنا .

ساد الصمت لحظة ، قبل أن يسأل (نور) مرة أخرى :

ــ وما رأى علمائنا فيما حدث يا سيِّدى ؟

تنهَّد القائد الأعلى ، وقال :

ــ إنهم ينكرون ذلك فى شدة يا (نور) ، ويؤكِّدون خلوّ القمر من المخلوقات الحيَّة ، اعتمادًا على كل النظريات والفحوص والاختبارات ، التى أجريت منذ عام ألف وتسعمائة وتسعة وستين حينما هبطت (أبوللو) الحادية عشرة على سطح القمر ، ووضع رائد الفضاء الأمريكى (نيل آرمسترونج) قدمه على تربة القمر ، مسجِّلًا أول خطوات بشرية هناك ، ويؤكِّدون أيضًا أن هذا المخلوق لم يأت من كوكب آخر ؛ لأن كل سفن الفضاء التى تهبط على سطح القمر يتم رصدها أولًا فأوَّلًا ، وكلها تابعة لكوكب الأرض .

وصمت لحظة ، ثم استطرد فى حزم :

ــ ثم إن طبيعة القمر لا تسمح بوجود أية مخلوقات حيَّة فيه .

تردَّد (نور) لحظة ، ثم قال :

ــ اسمح لى بمخالفتك يا سيِّدى ، فقد لا تسمح طبيعة القمر بوجود مخلوقات حية على الوجه الذى نعرفه نحن ، ولكن ماذا يمنع من وجود مخلوقات أخرى ، لا تحتاج إلى التنفس مثلًا .

قال القائد الأعلى فى صرامة :

ــ وماذا عن الماء يا (نور) ؟.. الله (سبحانه وتعالى) يقول فى كتابه الكريم : « وجعلنا من الماء كل شىء حىّ » [صدق الله العظيم] ، وهذا مبدأ علمى أيضًا ، اتفق عليه كل العلماء ، حتى الملحدون منهم ، فالحياة لا توجد إلَّا حيث وُجِد الماء ، ولا توجد قطرة مياه واحدة على سطح القمر .

قال (نور) فى هدوء :

ــ بل توجد المياه على سطح القمر ، منذ ثمانى سنوات يا سيِّدى .

عقد القائد الأعلى حاجبيه ، وهو يقول :

ــ ماذا تعنى ؟

قلب (نور) كفه ، وهو يقول :

ـ أعنى أن تجارب الزراعة ، فى تربة القمـــر ، قد استلزمت نقل أطنان من المياه إلى سطح القمر يا سيِّدى ، وأن الجزء الأعظم من هذه المياه يستخدم فى رى المزروعات القمرية ، فى سجن القمر ، ومن يدرى ؟.. ربمًا كانت هناك حياة ، منذ عشرات القرون على سطح القمر ، قبل أن يفقد غلافه الجوى ، ويجفّ ماؤه ، ربّما كان لمخلوقات هذه الحياة القدرة على التحوصل ، كما تفعل بعض أنواع البكتريا والطفيليات ، حينما تحيط بها ظروف غير ملائمة لمعيشتها ، وربما أنعشت المياه التى تتسرَّب عبر التربة هذه المخلوقات ، فغادرت حويصلاتها ، وعادت إلى الحياة ، ونمت ، ونتج منها مثل هذا المخلوق البشع !

صمت القائد الأعلى ، وبدتِ على ملامحه علائم التفكير فيما قاله (نور) ، ثم لم يلبث أن لوَّح بكفه ، وهو يقول :

ـ هذه النظريات سابقة لأوانها يا (نور) ، دعنـــا لا نناقش شيئاً ، حتى عودتك وفريقك من هناك ..

غمغم (نور) فى خفوت :

ـ من هناك ؟!

أجابه القائد الأعلى :

ـ نعم يا (نور) .. لقد أعددنا كل شىء ، لتنطلق أنت وفريقك ، على متن مكوك الفضاء المصرى ، (نسر ٩) إلى القمر ، وعليكم أن تبذلوا أقصى جهدكم ؛ لحل غموض هذه اللغز .

اعتدل (نور) ، وومضت عيناه ببريق العزم ، وهو يقول :

ـ سنفعل ـ بإذن الله ـ يا سيِّدى .

ثم أدّى التحية العسكرية ، واستدار يزمع الانصراف ، إلَّا أن القائد الأعلى استوقفه ، قائلًا :

ـ لحظة يا (نور) .

التفت (نور) إلى قائده فى هدوء ، فاستطرد فى حزم :

ـ طاقم الحراسة ، الموجود فى سجن القمر الآن ، هو الطاقم السوفيتى ، وهم صارمون للغاية ، ولقد احتاج الأمر لبذل مساعى ديبلوماسية مكثّفة ، حتى وافق مسئولو دولتهم على أن نتولَّى نحن المهمة ، وهذا يعنى أن مهمتك ستكون شاقة للغاية ، فحذار .

ابتسم (نور) ، وهو يقول فى هدوء :

ـ اطمئن يا سيِّدى .

وانصرف من مكتب القائد الأعلى فى خطوات قوية واثقة ، على الرغم من أنه يعلم أنه فى طريقه من الأرض إلى القمر ..

وإلى وحش القمر .

* * *



٣ ـــ العلم الأحمر ..

هبط مكوك الفضاء المصرى (نسر ٩) فى موقع الهبوط الخاص ، خارج قبّة سجن القمر ، وامتدّت من جانب القبّة أسطوانة من الزجاج المصفحّ ، لم تلبث أن التحمت بجانبى المكوك ، الذى بقى مدخله مغلقًا لحظات ، تمّت فيها معادلة الجوّ داخل الاسطوانة ، ثم انفتح بابه ، وهبط (نور) وفريقه إلى سجن القمر ..

وفى مزيج عجيب من البرود والغطرسة ، استقبلهـــم (فاسيلوف) ، قائد طاقم الحراسة السوفيتى الحالى ، وشدّ على يد (نور) فى قوة ، وهو يقول :

ـــ (فاسيلوف) قائد السجن الحالى ، ولمدة شهر كامل .

أجابه (نور) فى هدوء ، وبابتسامة ودود :

ـــ الرائد (نور الدين) ، من المخابرات العلمية المصرية ، وهذا فريق البحث (سلوى) و(رمزى) ، و(محمود) .

صافح (فاسيلوف) أفراد الفريق فى برود ، وشدّ على يد (سلوى) بطريقة تخلو من الذوق ، قبل أن يمطّ شفتيه فى

امتعاض ، وهو يقول فى لهجة تحمل بعض الاستنكار :

ـ رائد ؟!.. هل تعلم ما هى رتبتى أيها الرائد ؟

ابتسم (نور) فى هدوء ، وهو يقول :

ـ أعلم أيها العقيد (فاسيلوف) ، ولكننا هنا فى مهمة محدودة ولن نتدخّل فى أسلوب إدارتك لهذا الـ ..

قاطعه (فاسيلوف) فى لهجة حادة :

ـ وحتى لو حاولتم .. لن أسمح لكم قط .

تبادل أعضاء الفريق نظرات الدهشة ، لهذا الاستقبال العدوانى من العقيد (فاسيلوف)، الذى عاد يبتسم فى برود عجيب ، وهو يستطرد :

ـ وهذا للتذكرة فقط بالطبع .

تنهّد (نور) ، وهو يقول :

ـ إننا نعلم ذلك ياسيادة العقيد .

اتسعت ابتسامة (فاسيلوف) ، وامتلأت بزهو رجل يظن أنه قد سيطر على الموقف كله ، وهو يلوّح بكفه قائلًا :

ـ والآن هيَّا .. سنناقش هذه اللعبة فى مكتبى .

واستدار إلى الداخل فى غطرسة ، وتبعه أفراد الفريق فى دهشة ، ومالت (سلوى) على أذن (رمزى) ، وقالت فى حِدّة:

ـ هل تعلم فيم أفكّر ؟

ابتسم ، وهو يجيبها هامسًا :

ـ فى صفع العقيد (فاسيلوف) على وجهه .

رفعت حاجبيها فى دهشة ، ثم لم تلبث أن زوت ما بينهما ، وهى تغمغم فى سخط :

ـ لا يمكن إخفاء شىء على طبيب نفسى محترف .

أطلق (رمزى) ضحكة خافتة ، وواصل الجميع سيرهم خلف العقيد (فاسيلوف) ، وقد راودهم شعور واحد ، بأن هذه المهمة بالذات ستحتاج منهم إلى الكثير من الصبر ، والتحمّل ..

* * *

كانت حجرة العقيد (فاسيلوف) فاخرة ، بكل ما تحمله الكلمة من معانٍ ، وكان من الواضح أنه يشعر بالزهو لذلك ، وكان أكثر ما يميّزها هو ذلك العلم الأحمر ، الذى يملأ به الحائط خلف مكتبه ، ولسبب ما بدا وجه (فاسيلوف) المتورّد المكتظ شبيهًا بذلك العلم ، خاصةً حينما التقط من (مبرّده) الخاص زجاجة تمتلئ بسائل وردى ، لوّح بها أمام وجوه أفراد الفريق ، وهو يقول فى غطرسة :



ابتسم (نور) فى هدوء ، وهو يقول :

ـــ عقيدتنا تمنعنا من تناول كل أنواع الخمور يا سيادة العقيد .

ـــ هل لكم فى تناول كأس من (الفودكا) أوَّلًا ؟

ابتسم (نور) فى هدوء ، وهو يقول :

ـــ عقيدتنا تمنعنا من تناول كل أنواع الخمور يا سيادة العقيد .

ارتسمت ابتسامة ساخرة على شفتى (فاسيلوف) ، وهو يغمغم :

ـــ عقيدتكم ؟!

ثم لم يلبث أن هزَّ كتفيه فى لامبالاة ، وصبَّ لنفسه كأسًا من ذلك الخمر القوى ، رفعها إلى شفتيه ، وهو يقول موجِّها حديثه إلى (نور) :

ـــ ما رأيك فى هذه القصة الهزليَّة ، التى أدلى بها حارسكم ؟

شعر (نور) بالضيق ، إلَّا أنه كتم ضيقه ، وأخفاه خلف ابتسامة هادئة ، وهو يقول :

ـــ لا أظنها قصة هزلية كما تتصوَّر ، يا سيادة العقيد ، فالحارس الآخر (هانى) قد اختفى بالفعل ، وأنت تعلم أن مغادرة سجن القمر مستحيلة ، ما لم يرتد المرء ثياب الفضاء الملائمة .

ابتسم (فاسيلوف) فى استخفاف ، وجلس على مقعده ، وهو يقول :

ـ وهل يكفى هذا دليلًا على صحة القصة ؟

لم تستطع (سلوى) منع تلك الحِدَّة ، التى تسلَّلت إلى صوتها ، وهى تقول :

ـ وماذا تظن أنت ؟

رمقها (فاسيلوف) بنظرة ثاقبة ، قبل أن يرتشف بعض (الفودكا) ، ويقول فى هدوء يوحى بالثقة :

ـ لست أظن ، ولكننى أوقن بأن هذا كله ، مجرَّد خدعة .

كان أسلوبه مثيرًا ، مما جعل (رمزى) يسأله فى برود :

ـ وما دليلك على ذلك ؟

أمال (فاسيلوف) رأسه الضخم ، وهو يقول فى برود مماثل :

ـ الدليل هو تلك الحفرة ، التى لا يجرؤ أحد على ولوجها .

ثم اعتدل مستطردًا فى حزم :

ـ لقد قتل حارسكم رفيقه أيها السادة ، وألقى جثته فى هذه الحفرة .

وعاد يسترخى ، ويلوِّح بكفِّه ، مردفًا فى استخفاف :

ـ وما هذه القصة التى اخترعها ، إلَّا وسيلة لمنع الآخرين من كشف جثة زميله ، واتهامه بالقتل .

تبادل أفراد الفريق نظرات محنقة ، وكادت (سلوى) تهتف باستنكار ساخط ، لولا أن أسرع (نور) يقول فى هدوء :

ـ ومتى قتله ؟.. وكيف ؟.. ولماذا ؟

هزَّ (فاسيلوف) كتفيه ، ولوَّح بكفه مرة أخرى ، وهو يقول :

ـ ينبغى أن يجيب هو عن هذه الأسئلة .

ومال إلى الأمام ، وتألَّقت فى عينيه نظرة جذلة ، وهو يردف :

ـ لو أنه أحد جنودى ، لجعلته يدلى باعتراف كامل ، دون الحاجة إلى إرسال فريق مثلكم .

وبدا وكأنه يهم بالضحك ، وهو يواصل :

ـ فلدىَّ وسائلى الخاصة .

لم يفصح (فاسيلوف) عن وسائله بطبيعة الحال ، إلَّا أن الجميع أدركوا ما يعنيه ، فسرت قشعريرة فى جسد (سلوى) ، وهى تتطلَّع إليه فى اشمئزاز ، وقلب (محمود) شفتيه فى امتعاض ، فى حين عقد (رمزى) حاجبيه ، وهو يتأمَّله فى إمعان ، وابتسم (نور) فى هدوء ، وهو يقول :

— من حسن الحظ أننا لانلجأ إلى هذه الوسائل أبدًا ياسيِّدى ، خاصَّة حينما نستخدم عقلنا لدراسة الأمور .

عقد (فاسيلوف) حاجبيه الكثيفين ، وهو يقول فى حِدَّة :

— ماذا تقصد ؟

هزَّ (نور) كتفيه فى لامبالاة ، وقال :

— لست أقصد شيئاً ، ولكننى أتساءل : متى صنع (فريد) هذه الحفرة ؟ ولماذا يعمد إلى قتل الزميل الوحيد الذى تربطه به صلة صداقة ؟.. وعندما أجد أنه من العسير على حارس واحد أن يصنع مثل هذه الحفرة العميقة ، دون أن يشعر المساجين ، الذين يقومون برعاية المزرعة بذلك ، ومن غير المفهوم أو المقبول أن يضع (فريد) خطة محكمة لقتل صديقه وزميله (هانى) ، دون مبرِّر مفهوم ، وقبل يوم واحد من عودتهما إلى الأرض ، حيث توجد عشرات الوسائل للقتل وإخفاء الجثة ، دون الحاجة إلى إثارة كل الجهات المعنية بسجن القمر ، بقصة واهية خيالية .. حينما أفكِّر فى كل هذا أجد أننى أميل إلى تصديق قصة حارسنا ، على الرغم من غرابتها .

استمع (فاسيلوف) إلى حديث (نور) فى سخط

واضح ، ثم مطَّ شفتيه ، ولوَّح بكفه ، وجرع ما تبقى فى كأس (الفودكا) دفعة واحدة ، مما زاد من توَرّد وجهه ، وجُشَّة صوته ، وهو يقول فى حِدَّة :

— هذا لأنك لم تدرس الأمر بعد ، كما فعلت أنا أيها الرائد المصرى :

ووضع كأسه على سطح مكتبه فى حِدَّة ، كادت الكأس تتحطمَّ بسببها ، قبل أن ينهض ، ويعقد كفيه خلف ظهره ، قائلًا :

— لو أنك درست نظام السجن هنا ، لوجدت أن كل أربعة مساجين يُقيمون فى حجرة واحدة ، يشرف عليها حارسان ، تقتصر مهمتهما على التأكّد من وجود كل أربعة مساجين فى حجرتهم ، قبل إغلاق الأبواب .

سأله (نور) فى هدوء ، وهو يسترخى فى مقعده :

— وماذا يعنى هذا ؟

تجاهل (فاسيلوف) سؤال (نور) ، وهو يستطرد فى برود :

— وأن كل المساجين فى سجن القمر من عتاة المجرمين ، وأكثرهم عبقرية ، وأن بعضهم كانوا من علماء الدول ، قبل أن يحاولوا استغلال علمهم فى الشر .

عاد (نور) يسأله فى هدوء :

ــ وماذا يعنى ذلك أيضًا ؟

ابتسم (فاسيلوف) ، وكأنما أسعده أن أثار تساؤل (نور) ، وواصل قائلًا :

ــ وهل تعلم أيضًا أن (فريد) و(هانى) كانا يعملان معًا ، ويشتركان فى حراسة زنزانة واحدة ؟

اعتدل (نور) فى مجلسه ، وقد بدأ يفهم مايعنيه (فاسيلوف) ، وهو يقول :

ــ هل تعنى أنها ... ؟

قاطعه (فاسيلوف) فى خشونة :

ــ نعم .. إنها محاولة ذكية للفرار من سجن القمر .. أول محاولة من نوعها .

وازداد صوته صرامة ، وهو يستطرد :

ــ وآخر محاولة .

* * *

٤ ــ الغاية تبرِّر الوسيلة ..

ساد الصمت طويلًا بعد عبارة (فاسيلوف) الأخيرة ، وتبادل (نور) وفريقه نظرات متسائلة ، قبل أن يسأل (محمود) فى اهتمام :

ــ لماذا توصَّلت إلى هذا الاستنتاج بالذات ؟

ابتسم (فاسيلوف) فى ثقة ، وهو يقول :

ــ إنه أمر بالغ البساطة يافتى .. يحتاج إلى قليل من الذكاء فحسب .

واتجه ليجلس مرة أخرى خلف مكتبه ، وفرد كفيه خلفه فى غطرسة ، وهو يستطرد :

ــ جميعكم تعلمون أن الفرار من سجن القمر مستحيل ، فهو فى منطقة مستقلة على سطح القمر ، لا يمكن مغادرتها بأى حال من الأحوال ، وهو يبعد عن كوكب الأرض حوالى ثلثمائة وستة وثمانين ألفًا وتسعمائة واثنين وخمسين كيلومترا ، وكل سفن الفضاء التى تصله ، حتى من الجانب المظلم يتم رصدها فى

دقة ، فى حين أنه لو كان هذا السجن على كوكب الأرض ، لكان من الممكن أن يفرّ منه المسجونون ولو مرة واحدة على الأقل ، ونظريتى تقول : إن حارسكم (فريد) قد حصل على رشوة ضخمة ، ليعاون هؤلاء المساجين على الفرار .

غمغم (نور) فى صوت خافت ، لم ينجح فى إخفاء رنة السخرية فيه :

— بقتل رفيقه ؟!

ضرب (فاسيلوف) سطح مكتبه فى قوة ، وهو يقول :

— بل بنشر خرافة مخيفة فى سجن القمر ، ترغم المسئولين ، بعد سلسلة من الحوادث المفزعة ، على نقل المسجونين مؤقتًا إلى سجن آخر على كوكب الأرض ، حيث يتضاعف الأمل فى محاولة الفرار .

وابتسم فى ثقة ، وهو يستطرد :

— وهكذا قام (فريد) بصنع الحفرة ، بمساعدة المساجين الأربعة ، الذين يشرف على حجرتهم مع زميله ، وقتل بعدها رفيقه ، وألقاه فى الحفرة ، وتصنّع الذهول والرعب ، حتى ينشر هذه الخرافة المفزعة .

وبدت ابتسامته أقرب إلى السخرية ، وهو يردف :

— هل رأيتم كم هو بسيط ذلك الاستنتاج .

تبادل أفراد الفريق نظرات حائرة ، ثم قال (نور) فى هدوء :

— وأين الدليل على هذا ؟

قهقه (فاسيلوف) فى سخرية ، قبل أن يقول :

— تريد الدليل ؟!.. حسنًا أيها الغر .. سأمنحك الدليل بعد ثلاثة أيام قمرية على الأكثر ، وسيكون دليلا مشفوعًا باعترافات موقّعة من المساجين الأربعة ، وسأترك لكم اختيار الأسلوب الذى يروق لكم ، لإجبار حارسكم على الاعتراف بعد ذلك .

تنهّد (نور) وهو يقول :

— كنت أفضّل أن نستجوب هؤلاء المساجين الأربعة بأنفسنا و ..

قاطعه (فاسيلوف) فى صوت صارم حازم قوى :

— كلّا .

تطلّع إليه الجميع فى دهشة ، فعادت تلك الابتسامة الساخرة ترتسم على شفتيه ، وهو يستطرد فى برود :

— إننى أستجوبهم الآن بوسائلى الخاصة ، وهى لا تفشل أبدًا .

خفقت قلوب أفراد الفريق فى ألم ، وبدا لهم أنه من الضرورىّ استبدال حرف (الجيم) فى صفة المساجين إلى حرف (الكاف) ، ماداموا قد وقعوا بين براثن هذا الرجل ، ولم يستطع (نور) تمالك جأشه ، وهو الذى يكره كل أنواع القسوة والإيذاء ، فقال فى حِدّة :

ــ ولكن هذا الأسلوب محظور استخدامه أو اللجوء إليه فى العالم أجمع ، فهو أسلوب قاس ، يخلو من الرحمة ، ومن الذكاء أيضًا فى التعامل مع المساجين ، أو غيرهم ، فالوسائل العلمية الحديثة تجعل الاستجواب ــ أى استجواب ــ أمرًا روتينيًا تقليديًا بسيطًا و ..

قاطعه (فاسيلوف) فى برود :

ــ إننى أميل إلى الوسائل القديمة ، فهى أكثر فاعلية .

وابتسم فى سخرية ، وهو يردف :

ــ والمبدأ القديم يقول : « الغاية تبرّر الوسيلة » .

غمغم (رمزى) فى سخط :

ــ قول بغيض من رجل بغيض (*) .

(*) ينسب هذا القول الى (ميكيافيلى) ، مؤلف كتاب (الأمير) ، الذى يتحدث عن وسائل الحكم والسيطرة ، ولقد اشتهر (ميكيافلى) بالقسوة والصرامة بلا حدود ، ولقد اعترض الكثيرون على مبدئه هذا .

ابتسم (فاسيلوف) فى صرامة ، وهو يقول :

ــ سنرى .

ساد الصمت لحظات بعد كلمته ، ثم نهض (نور) ، وهو يقول فى صرامة :

ــ حسنًا يا سيادة العقيد .. سنترك لك مهمة استجواب هؤلاء (المساكين) ، وسنقوم نحن بعملنا ، بطرقنا الخاصة .

عقد (فاسيلوف) حاجبيه ، وهو يقول فى صرامة :

ــ لن أسمح لكم باستجواب طاقم الحراسة و ..

قاطعه (نور) فى صرامة :

ــ اطمئن يا سيادة العقيد ، فسأكتفى باستجواب العلماء فحسب ، ولن يكون استجوابًا بالمعنى المعروف ، وإنما مجرَّد مناقشة علمية خاصة .

غمغم (فاسيلوف) فى استخفاف :

ــ وهل أرسلت مصر فريقًا من أربعة أشخــاص ، لاستجواب ثلاثة علماء فحسب ؟

بدا صوت (نور) باردًا كالثلج ، قاسيًا كالفولاذ ، وهو يقول :

ــ إنه فريق من العلماء يا سيادة العقيد ، ومهمته لا تقتصر

على الاستجواب ، فبينما أقوم أنا وزميلى (رمزى) بمناقشة العلماء الثلاثة ، سيعمل (محمود) و(سلوى) على فحص أهم نقطة فى الأمر كله .

وصمت وهلة ، قبل أن يستطرد فى حزم :

ــ الحفرة التى برز منها ، واختفى فيها ، وحش سجن القمر .

* * *

انهمك (محمود) و(سلوى) فى إعداد أجهزتهم عند حافة الحفرة ، فى حين تبع (رمزى) (نور) إلى مركز البحث ، حيث العلماء الثلاثة ، وهو يغمغم فى حَنَق :

ــ ياله من رجل بغيض ، سيجعلنى أكره كل السوفيت !!

عقد (نور) حاجبيه ، وهو يقول :

ــ خطأ يا (رمزى) ، السوفيت قوم عظماء ، ولقد تعاملت مع الكثيرين منهم من قبل ، وأستطيع أن أجزم بأن ما يقوم به العقيد (فاسيلوف) ، سيبدو لهم مُقَزِّزًا بشعًا ، حينما يصلهم تقريرى ، ولا أظنهم يوافقون على أفعاله أبدًا .

هتف (رمزى) فى حماس :

ــ هل سترسل تقريرًا بهذا إلى السوفيت ؟



انهمك (محمود) و (سلوى) فى إعداد أجهزتهم عند حافة الحفرة ، فى حين تبع (رمزى) (نور) إلى مركز البحث ..

أجابه (نور) فى حزم :

ــ بالطبع .. ينبغى أن يدركوا مدى ما يسىء به إليهم رجلهم .

أومأ (رمزى) برأسه موافقًا ، ثم سأله فى اهتمام :

ــ وما رأيك فى نظريته ؟

أجابه (نور) فى جدِّيَّة :

ــ أعتقد أنها نظرية مقبولة نوعًا ، ولكنها تحتاج إلى إثبات قوى .

غمغم (رمزى) فى حَنَق :

ــ وكيف يمكننا الحصول على مثل هذا الإثبات ، وهو يمنعنا من استجواب المشتبه فيهم ؟

أجابه (نور) فى هدوء :

ــ يمكننا أن نثبت ذلك أو ننفيه ، ببحث الاتجاه العكسى يا (رمزى) .

سأله (رمزى) فى دهشة :

ــ ماذا تعنى ؟

تنهَّد قبل أن يجيبه فى هدوء :

ــ سنركِّز جهودنا كلها فى محاولة إثبات وجود هذا المخلوق أو نفيه .

وارتجف صوته على الرغم منه ، وهو يستطرد :

ــ سنركِّز جهودنا كلها على وحش سجن القمر .

* * *

٥ ــ الوحش مرة ثانية ..

استقبل العلماء الثلاثة (نور) و(رمزى) فى ترحاب ، وقدَّم أكبرهم سنًّا نفسه قائلًا :

ــ الدكتور (وجدى) ، مصرىّ الجنسية ، وخبير التربة .

ثم أشار إلى زميليه مسطردًا :

ــ وهذا زميلى عالم الأغذية ، الدكتور (چان) ، فرنسى ، وذلك ثالثنا خبير الزراعة القمرية ، الدكتور (إدوارد) ، بريطانى .

صافحهما العلماء الثلاثة فى احترام ، ثم سأل (نور) الدكتور (وجدى) :

ــ ما رأيك فيما حدث يا دكتور (وجدى) ؟.. هل من الممكن أن تنهار التربة وحدها ، لتصنع هذه الفجوة ؟

هتف الدكتور (وجدى) فى استنكار :

ــ تربة القمر ؟!.. هذا مستحيل !! ثم إننى كنت أقوم بدراسة هذه التربة يوميًّا ، ومن غير الممكن أو المقبول أن يحدث هذا هكذا فجأة .

عاد (نور) يسأل فى اهتمام :

ــ هل من الممكن إذن أن تنشأ حياة على سطح القمر ، فى هيئة هذا المخلوق البشع ، الذى وصفه (فريد) ؟

تردَّد الدكتور (وجدى) ، قبل أن يقول :

ــ أعتقد أن هذا غير ممكن و ..

قاطعه الدكتور (چان) فى هدوء :

ــ إننى أخالفك الرأى يا زميلى العزيز .

تضرَّج وجه الدكتور (وجدى) بحمرة الخجل ، وعقد الدكتور (إدوارد) حاجبيه ، فتأملهما (رمزى) فى اهتمام ، ثم قال فى هدوء واثق :

ــ من الواضح أيها السادة أنكم قد ناقشتم هذا الأمر من قبل ، وأن الدكتور (چان) هو صاحبه ، والدكتور (إدوارد) يعارضه فى شدة ، فى حين يتردَّد الدكتور (وجدى) ما بين القبول والرفض ، فما نظرية الدكتور (چان) بالضبط ؟

تطلَّع إليه العلماء الثلاثة فى دهشة ، ثم غمغم الدكتور (إدوارد) :

ــ أنت طبيب نفسى ، أليس كذلك ؟

ابتسم (رمزى) فى هدوء ، فى حين أجاب (نور) فى اهتمام :

ــ بلى .. ولكن ما نظريتك يا دكتور (چان) ؟

تنهَّد الدكتور (چان) ، وقال فى هدوء :

ــ أنتم تعلمون بالطبع أن البذور ، التى تنقل إلينا من الأرض ، تخضع لفحص ودراسات وتعقيم خاص ، قبل زراعتها فى تربة القمر ، ولكن ماذا لو أن بذرة واحدة أفلتت من ذلك ؟

استمع إليه (نور) و(رمزى) فى اهتمام ، وبدأ الحماس يتسلَّل إلى صوته ، وهو يستطرد :

ــ لقد تدخَّلنا نحن فى الطبيعة بالطبع ، وأقصد طبيعة القمر ، فصنعنا هذه القبة ، التى تجمع ما بين صفات الأرض وتربة القمر ، ولقد أدى هذا إلى نمو المزروعات بصورة خرافية ، ولكننا لم ندرس بعد ما يمكن أن يفعله هذا الازدواج العجيب فى ميكروب أرضى مثلًا ، أو دودة صغيرة .

غمغم (رمزى) :

ــ يا إلٰهى !!

هتف الدكتور (چان) ، وقد بلغ حماسه ذروته :

— هل رأيت كيف أفزعتك الفكرة؟.. إن دودة أرضية صغيرة ، قد تتسلَّل إلى هنا من خلال إهمال بسيط ، أو على هيئة بيضة غير ملحوظة ، قد تتحوَّل إلى وحش بشع ، تحت تأثير العوامل نفسها ، التى جعلت سنابل القمح القمرية تصل إلى ارتفاع عشرة أمتار .

ارتسم القلق فى ملامح (نور) و(رمزى) ، وغمغم الأوَّل :

— ولكن صفات هذا الوحش تبدو أقرب شبها بالثعابين .

هزَّ الدكتور (چان) كتفيه ، وقال :

— وهل تدرك شيئاً عن طبيعة تطوّر المخلوقات فى تربة القمر ؟

عقد (نور) حاجبيه ، وهو يفكِّر فى الأمر فى عمق ، قبل أن يغمغم :

— إنها نظرية بالغة الخطورة يا دكتور (چان) .

تمتم الدكتور (إدوارد) فى سخط :

— إنها نظرية حمقاء مرفوضة ، فلو أن الأمر كذلك لرأينا تطوّرات عجيبة تحدث لهؤلاء المساجين ، الذين يعملون فى تربة القمر منذ سنوات .

هتف الدكتور (چان) ، محاولاً تأكيد نظريته :

— هل تنكر أن معدَّل استهلاك الأكسوجين قد تزايد على نحو ملحوظ ، منذ ظهور هذا الوحش ؟.. ألا يعنى هذا أنه يستهلك الأكسوجين فى شراهة ؟.. أليس من المحتمل أن ..

وفجأة بتر الدكتور (چان) عبارته ، وسرت فى جسد الجميع قشعريرة عجيبة ، وارتجفت قلوبهم فى ذعر مفاجئ ، وكان أكثرهم تأثرًا بلا ريب هو (نور) ، فقد كان مبعث هذا التغيّر الذى اعتراهم صرخة ..

صرخة رعب تحمل صوت زوجته (سلوى) ..

* * *

قبل تلك اللحظة بخمس دقائق فقط ، كان (محمود) و(سلوى) يفحصان الحفرة بأجهزتهما الحديثة ، حينما قالت (سلوى) فى دهشة :

— يبدو أنها ليست مجرَّد حفرة صغيرة كما تصوَّرنا يا (محمود) ، فالتردّدات الصوتية التى أرسلناها خلالها ، والتى ارتدّت إلى جهازى ، تؤكِّد أنها حفرة عميقة للغاية ، تنتهى بفراغ ضخم ، هناك شىء ما يجرى داخلها .

غمغم (محمود) فى توتر ، وهو يتابع ما يرتسم على شاشة جهازه :

— هذا صحيح يا (سلوى) ، ففحص الأشعة النافذة من الحفرة يبيِّن كم هى عميقة ، ولكننى لا أجد فيها أية مصادر حرارية ، يمكنها أن تشير إلى وجود مخلوقات حيَّة ، ولكن ..

صمت لحظة وكأنه لا يصدِّق ما يراه ، قبل أن يستطرد ، وهو يشير إلى مجموعة من الخطوط المتعرِّجة ، الواضحة على الشاشة :

— لو أن أجهزتى لم تصب بالخلل ، فهذا الذى تسجِّله يخالف كل الدراسات والنظريات ، التى سُجِّلت حول القمر ، منذ بداية عصر الفلك .

تطلَّعت (سلوى) إلى شاشة جهازه ، ثم هتفت فى دهشة :

— يا إلٰهى !!.. هذا صحيح .. إنه أمر مذهل بحق .

ثم أردفت فى انفعال :

— لا بُد من إبلاغ (نور) .. لا شك أن هذا سيقفز بعقله إلى استنتاج بالغ الخطورة .

شاركها (محمود) انفعالها ، وهو يقول :

— بلا شك .. دعينا نسرع بإبلاغه و ..

قاطعهما فجأة صوت منتظم ، انبعث فجأة من جهاز (سلوى) ، فأدارت عينيها إليه فى دهشة ، وهى تقول :

— عجبا !!.. هذا الصوت !

لم تتم عبارتها ، فقد أسرع (محمود) يهتف :

— هناك شىء ما يتحرَّك صاعدًا إلى الخارج .. إنه يصدر قدرًا بالغ الضآلة من الطاقة الحرارية .

اتسعت عينا (سلوى) ، وهى تقول :

— إنه يقترب يا (محمود) .. يقترب فى بطء مخيف .. وكأنه .. وكأنه ..

وشحب وجهها ، قبل أن تستطرد فى خفوت :

— وكأنه يزحف كالأفعى .

كان من الطبيعى أن يبتعدا عن الحفرة فى سرعة ، إلا أن الخوف ، والفضول العلمى جعلهما يتسمَّران أمام الحفرة ، وعيونهما تتعلَّق بحافتها ، وقلباهما ينبضان فى قوة وعنف .

وفجأة برز الوحش ..

برز دفعة واحدة برأسه المخيف ، وعينيه الواسعتين بلون الدم ، وجسمه المغطى بالحراشيف القويَّة ، وتحرُّك لسانه

المشقوق بين أنيابه فى سرعة ، وصدر منه فحيح قوىّ ، وهو يدير عينيه بين (محمود) و(سلوى) ، قبل أن يركزهما على وجه (سلوى) ، الذى بات شاحبًا ، شديد البياض كالشمع .

وامتدّت ذراعه البُنّيّة المخيفة ، ذات الأصابع الثلاث ، التى تنتهى بأظفار حادة قوية ، نحو (سلوى) فى بطء ..

وهنا فقط انتزعت (سلوى) نفسها من ذهولها ورعبها ، وارتجف جسدها كله فى ذعر هائل ، وانطلقت من بين شفتيها صرخة رعب قويّة ..

صرخة تعلن أن وحش سجن القمر قد عاد ..

* * *



٦ ــ الدليل ..

لم تكد صرخة (سلوى) تصل إلى مسامع (نور) ، حتى وجد نفسه يندفع بأقصى ما يملك من سرعة وقوة ، وينتزع مسدسه الليزرىّ ، ويخترق الممر الطويل ، الذى يفصل حجرة العلماء الثلاثة عن الباب الخارجى ، كالرصاصة ، حتى أنه وصل إلى مزرعة سجن القمر ، قبل أن يتحرّك أحد الحرّاس خطوة واحدة ..

وتسمّر (نور) فى ذهول ، وهو يتطلّع إلى ذلك المشهد ، الذى بدا له بالغ البشاعة والغرابة ..

لقد كانت (سلوى) تتراجع فى رعب ، بعيدًا عن المخلوق البشع ، و(محمود) يحاول حمايتها فى بسالة ، على الرغم من ضآلة جسده ، فى حين غادر المخلوق الحفرة ، وبدا مخيفًا وهو يزحف بنصفه السفلى ، الشبيه بذيل ثعبان ، أو (سحلية) ضخمة ، من (سحالى) ما قبل التاريخ ، فى حين انتصب نصفه العلوى إلى ارتفاع يناهز المتر ونصف المتر ، وهو يشبه النصف

العلوى للبشر فى تكوينه التشريحى ، فيما عدا ذلك اللون البنىّ الداكن ، وتلك الحراشيف القويّة ، والأذرع التى تنتهى بثلاث أصابع حادة طويلة ..

لقد كان ذلك الوحش مزيجًا مخيفًا من البشر والثعابين .. مزيجاً قاتلًا ..

وانتزع (نور) نفسه من ذهوله ، واشمئزازه ..
انتزعه خوفه على زوجته ..

وانطلق (نور) يعدو نحو زوجته ورفيقه (محمود) ، فى نفس اللحظة التى انحنى فيها الوحش ، محاولًا التقاط جسد (سلوى) ، وكادت ذراعاه تحيطان بها بالفعل ، لولا أن وصل (نور) فى تلك اللحظة ، وانطلقت أشعته الليزرية لتصيب الوحش فى رأسه ، وتنعكس عن حراشيفه القويّة بوميض هائل ..

وانتزع (نور) زوجته من أمام الوحش ، وحملها بين ذراعيه وهو يعدو بها مبتعدًا ، فى حين هتفت هى :

— (نور) ؟!.. حمداً لله .. حمداً لله .

وكأنما استنفد وصول (نور) آخر ما بقى لها من طاقة ، فخرّت مغشيًا عليها بين ذراعيه ، ولحق بهما (محمود) ، وهو



وانطلق (نور) يعدو نحو زوجته ورفيقه (محمود) فى نفس اللحظة التى انحنى فيها الوحش ، محاولًا التقاط جسد (سلوى) ..

يهتف فى مزيج من الذهول والانفعال ، وجسده كله ينتفض فى قوة :

ـــ لقد كاد يقتنصها .. ذلك الوحش البشع كاد يختطفها .

لم يجبه (نور) بكلمة واحدة ، وإنما تعلّق بصره بالحراس السوفيت ، وهم يحاصرون الوحش ، ويطلقون عليه أشعة بنادقهم الليزرية فى شجاعة ، والوحش يطلق فحيحه المخيف ، ويضربهم بذيله فى قوة ، ويلوّح بكفيه المخيفتين فى وجوههم ، ثم تراجع إلى الخلف .. إلى حيث الحفرة ، واندفع فجأة ليحيط أحد الحرّاس بذراعيه ، وأخذ المسكين يطلق صرخات رعب وألم هائلة ، والوحش يجذبه معه الى الحفرة ، وزملاؤه يحاولون فى يأس إنقاذه ، وقد أعجزهم عدم جدوى أسلحتهم أمام حراشيف الوحش الصلبة القويّة ..

ودوّت فجأة شهقة قويّة من خلف (نور) ، فاستدار ليجد العقيد (فاسيلوف) جاحظ العينين ، فاغرًا فاه ، يحدّق فيما يحدث فى ذهول ، وهو يهمهم بكلمات روسيّة لم يفقه (نور) منها حرفًا واحدًا ..

والتفت (نور) فجأة إلى الحرّاس ، وصاح بهم :

ـــ على العينين .. صوّبوا على العينين .

ولكن الوحش بدا وكأنه قد فهم عبارة (نور) فقد أسرع يدير ظهره إلى الحرّاس حيث تتكاثف حراشيفه القوية الصلبة ، وتحرّك فى سرعة إلى الحفرة ، وأطلق فحيحًا عاليًا مخيفًا ، قبل أن يختفى فيها مع ضحيته ، التى أطلقت صرخة رعب هائلة ، قبل أن يسود الصمت التام المكان ..

وظلّ الجميع لحظات يحدّقون فى الحفرة ، وقد بدا سكون المكان أشبه بمقبرة مهجورة خالية ، قبل أن يشقّ صوت (نور) الحاد ذلك السكون ، وهو يلتفت إلى (فاسيلوف) ، قائلًا فى حِدّة :

ـــ هاهو ذا الدليل يا سيادة العقيد .. الدليل الذى تنشده .

وحمل صوته سخطه وغضبه ، وهو يردف فى صرامة :

ـــ الدليل الذى انتزع ضحيه ثانية ، من رجالك هذه المرة .

واختفى تورّد وجه (فاسيلوف) ، وشحب لأول مرة ، ولكنه لم ينطق بكلمة ..

لم ينطق بكلمة واحدة أمام هذا الدليل القوىّ ..

* * *

تحرك (فاسيلوف) فى حجرته بعصبية واضحة ، وقد احتقن وجهه فى شدة ، وأخذ يلوّح بذارعيه بين الحين والآخر ، ويرغى ويُزبِد بكلمات روسية غير مفهومة ، وإن بدا السخط واضحًا فى نبراتها ، فى حين تجاهله (نور) و(محمود) تمامًا ، وولّيا وجهيهما شطر (رمزى) ، الذى يعمل على إسعاف (سلوى) ، حتى فتحت هذه الأخيرة عينيها ، وتطلّعت إلى وجوههم فى رعب ، قبل أن تهتف :

— أين أنا ؟.. هل مضى ذلك الكابوس البشع ؟

احتواها زوجها (نور) بين ذراعيه ، وربّت على رأسها فى حنان ، وهو يقول :

— نعم ياعزيزتى ، لقد مضى ذلك الكابوس .

غمغم (رمزى)فى خفوت :

— ليت كلماتك تتحوّل إلى حقيقة يا (نور) .

توقّف (فاسيلوف) فى هذه اللحظة عن الهمهمة بكلماته الروسية ، وهتف باللغة الإنجليزية ، التى يجيدها الجميع :

— إنها خدعة .. خدعة متقنة ولا شك .

عقد (نور) حاجبيه ، وهو يقول فى ضيق :

— أمازلت تصرّ على ذلك ، على الرغم من .. ؟

قاطعه (فاسيلوف) فى حِدّة :

— على الرغم من ماذا ؟!.. هل خدعكم ظهور هذا الوحش الخرافىّ ؟

هتف (رمزى) فى دهشة :

— ولكننا رأيناه جميعًا ياسيّد (فاسيلوف) .

زمجر (فاسيلوف) ، وهو يقول فى حِدّة :

— العقيد (فاسيلوف) يافتى .. أو الرفيق (فاسيلوف) فلايوجد سادة هنا .

ثم عاد يستطرد فى حماس :

— نعم .. لقد رأينا جميعًا شيئاً يصارع الحرّاس ، ويختطف أحدهم ، ثم يفرّ ، وكان من الطبيعى فى غمرة الفزع والتوتر أن نتصوّر أنه مخلوق حىّ ، ولكن الحقيقة تخالف ذلك ، فهذا الذى رأيناه مجرّد ..

وبتر عبارته فجأة ، ودار بعينيه فى وجوههم ، قبل أن يردف فى صلابة :

— مجرّد وحش آلىّ .

هتف (محمود) فى دهشة :

— وحش آلى ؟!.. ولكن ..

قاطعه (فاسيلوف) فى انفعال :

ـ ولكن ماذا ؟!.. قل لى يا خبير الأشعة : هل سجّلت أجهزتك أى بث حرارى ، قبل ظهور هذا الوحش ؟

رفع (محمود) حاجبيه فى دهشة ، وهو يغمغم :

ـ لا ، فيما عدا بثّ بالغ الضآلة ، قبل ظهوره مباشرةً .

تهلّلت أسارير (فاسيلوف) ، وهو يقول :

ـ هل رأيت ؟.. إنه البث الصادر عن أجهزته الآلية فحسب .

اعتدل (نور) وعقد حاجبيه فى شدة ، وهو يقول :

ـ ما نظريتك بالضبط يا سيادة العقيد ؟

هتف (فاسيلوف) ، وهو يلوّح بذراعيه فى قوة :

ـ هل تعلمون لماذا أعترض دائمًا على نظام هذا السجن ؟.. لأن المسئولين أرخوا القيود تمامًا لهؤلاء المساجين الملاعين ، حتى أنه أصبح بقدرتهم العمل فى معامل خاصة ، كنوع من الترفيه ، وهذه المعامل ـ للأسف ـ تضمّ من الأجهزة الحديثة ما يسمح لهؤلاء الأوغاد بصنع وحش آلى كامل ، دون أن يشعر مراقبوهم بذلك ، ومادموا ـ ككل مجرمى العالم ـ يسعون دومًا للفرار ، فقد صنعوا هذا الوحش الآلى ، ورشوا حارسكم (فريد) ، ليجذب صديقه (هانى) إلى المزرعة ، ويترك الوحش الآلىّ يفترسه ، ثم يشيع هذه القصة .

قال (نور) فى حِدّة :

ـ ولكن هؤلاء المجرمين كانوا يخضعون لاستجواباتك القاسية ، حينما ظهر الوحش للمرة الثانية .

ابتسم (فاسيلوف) ابتسامة شرسة ، وهو يقول :

ـ لست أقصد هؤلاء الأوغاد الأربعة فقط ، بل كل المساجين أيها الرائد .

شحب وجه (نور) ؛ لأنه يعلم ما يعنيه ذلك بالنسبة للمساجين ، وغمغم فى اعتراض :

ـ أنت أيضًا لا تملك دليلًا على نظريتك هذه أيها العقيد .

ابتسم (فاسيلوف) فى سخرية ، وهو يقول :

ـ هل تظن ذلك ؟

ثم برقت عيناه ، وهو يميل نحو (نور) مستطردًا :

ـ هل تذكر ماذا حدث ، حينما صرخت فى الجنود ، تطلب منهم التصويب على عينى الوحش ؟ لقد أسرع يستدير ليفوّت عليهم هذه الفرصة ، حتى لقد بدا للجميع وكأنه قد فهم صيحتك ، ولكن الحقيقة غير ذلك أيها الرائد .. لقد سمع المجرم المسئول عن تحريك هذا الشخص الآلى صيحتك ، وقام بتوجيهه من بعيد ، بواسطة جهاز خاص .. ألا يبدو ما أقول أكثر منطقية ؟

بدا (نور) شاردًا ، وهو يستمع إليه ، ثم لم يلبث أن خفض عينيه ، وهو يقول فى استسلام :

— يبدو أنه لا مفرّ من الاعتراف بأن نظريتك هى الأقرب إلى الصواب يا سيادة العقيد .

برقت عينا (فاسيلوف) فى زهو وظفر ، وقال فى قوة :

— هذا أفضل أيها الرائد ، فـ (فاسيلوف) لا يخطئ أبدًا .. أبدًا .

* * *

نطق (فاسيلوف) بعبارته الأخيرة فى غطرسة وزهو بالغين ، حتى أن (سلوى) صاحت فجأة فى حِدَّة :

— بل أنت مخطئ على طول الخط أيها العقيد المغرور .

رمقها (فاسيلوف) بنظرة ناريَّة ، وهو يقول فى برود :

— هكذا ؟!.. وما دليلك على هذا القول الأخرق أيتها المصرية ؟

أرتج على (سلوى) ، فلم تستطع التفوُّه بحرف واحد فى حين هتف (محمود) فجأة :

— هناك دليل بالفعل .. دليل قوىّ .

ثم التفت إلى (نور) ، واستطرد فى حماس :

— لقد كنا نفحص الحفرة يا (نور) ، قبل ظهور الوحش ، فوقعنا على كشف خطير ، سيغيِّر كل النظريات والدراسات المعروفة عن القمر .

جعلت لهجته الحماسية الجميع يحدِّقون فيه فى دهشة ، فى حين هتفت (سلوى) :

— يا إلهى !!.. هذا صحيح .. كيف نسينا ذلك ؟

ثم أسرعت تردف :

— لقد كنا نفحص الحفرة ، حينما كشفنا أنها شديدة العمق ، وتنتهى بفجوة بالغة الضخامة ، ثم التقطت أجهزتى صوتًا عجيبًا ، أيَّده الفحص الإشعاعى الذى قام به (محمود) .

سألها (نور) فى انفعال :

— ماذا وجدتم يا (سلوى) ؟

هتف به (محمود) :

— نهر يا (نور) .. نهر يجرى فى أعماق القمر .

اتسعت عيون الجميع فى ذهول ، أمام هذا الكشف العجيب ، وهتف (نور) :

— هل أنتما واثقان ؟

أومأ كل منهما برأسه إيجابًا فى قوة ، فتهلَّلت أسارير (نور) ، وهو يهتف :

— يا إلٰهى !!.. هذا هو الدليل الذى كنت أنشده .

غمغم (فاسيلوف) فى سخط :

— الدليل على ماذا أيها الرائد ؟

تألَّقت عينا (نور) ببريق عزم قوىّ ، وهو يقول :

— الدليل على وجود الحياة .. أول دليل على وجود حياة على سطح القمر أيها العقيد .

* * *



٧ — المستحيل ..

ران صمت مشوب بالذهول إثر عبارة (نور) ، حتى هتف (فاسيلوف) فى سخط واستنكار :

— أى قول أحمق تقول أيها الرائد ؟!.. إن الاختبارات والدراسات تجرى على القمر منذ أكثر من نصف قرن ، ولم يجرؤ عالم واحد على النطق بتلك الحماقات ، التى تلقى بها بهذه البساطة .

قال (نور) فى جذل :

— لأن أحدهم لم يخترق قلب القمر ، ويصل إلى دليل الحياة الوحيد فيه .

هتف (فاسيلوف) فى حَنَق :

— أى دليل هذا ؟

تألَّقت عينا (نور) ، وهو يقول :

— الماء يا سيِّدى .. الضرورة الوحيدة التى اتفق عليها العلم والدين ، لوجود الحياة فى أى كوكب أو تابع .. لقد بحث

العلماء ، ودرسوا ، ومحّصوا سطح القمر ، والفجوات التى أحدثتها عليه النيازك ، ولكن أحدًا لم يتصوّر أن يرقد دليل الحياة فى جوف القمر ، لا على سطحه .

صاح (فاسيلوف) فى حِدّة :

— ولكن هذا مستحيل ، فالجاذبية على القمر لا تسمح بجريان الأنهار .

ابتسم (نور) ، وهو يقول :

— وماذا عن الجاذبية فى أعماقه ؟

لوّح (فاسيلوف) بذراعه فى قوة ، وهو يقول :

— لا فارق .

هتف (محمود) :

— كيف يا سيّدى ؟.. إن الجاذبية تتزايد بالتأكيد كلما اتجهنا إلى المركز .

صرخ (فاسيلوف) :

— هراء .. لن يمكنكم إقناعى أبدًا بوجود مخلوقات حيّة على سطح القمر .

هتف (نور) :

— بل فى جوفه يا سيادة العقيد .

عقد (فاسيلوف) حاجبيه فى شدة ، ثم لوّح بكفيه ، هاتفًا .

— هراء .

ابتسم (نور) ، وهو يقول :

— بل حقيقة يا سيادة العقيد .

والتفت إلى رفاقه ، وكأنما يحادثهم وحدهم ، قائلًا :

— لقد كانت الحياة موجودة دومًا فى قلب القمر يا رفاق ، حول مجرى ذلك النهر فى الأعماق ، وربّما كانت الحياة على شكل هذا الوحش ، الذى رأيناه جميعًا ، أو أنه أحد الوحوش المفترسة فى هذا العالم القمرى .

سألته (سلوى) فى حَيْرة :

— وكيف يمكنك أن تكون واثقًا هكذا يا (نور) ؟

عاد يقول فى حماس :

— الماء يا (سلوى) .. مادام الله [سبحانه وتعالى] قد خلق الماء ، فهو لم يخلقه أو يوجده هنا عبثًا ، وإنما لتحيا به مخلوقاته على القمر ، ثم إنه هناك نقطة أخرى ، وهى الزيادة فى استهلاك الأكسوجين .. لقد تصوّرت فى البداية أن ذلك النقص ناشئ عن وجود الفجوة ، التى ظننت أنها تعبر القبة

الزجاجية من خلال نفق ، يقود إلى خارج سجن القمر ، حيث لا هواء ، إلّا أن هذا لم يكن صحيحًا ، حتى من وجهة النظر العلمية ، فلو وُجِدت مثل هذه الفجوة الضخمة ، بين داخل وخارج قبة سجن القمر ، لانتزعت كل الأكسوجين الموجود فى السجن فى لحظة واحدة ، نظرًا للفراغ الرهيب خارج القبة ، ولكن هذه الزيادة فى الاستهلاك نشأت فى الواقع من زيادة عدد المستهلكين ، وأقصد بذلك وحش القمر ، وباقى مخلوقاته الأخرى ، التى تحيا حول نهره .

غمغم (فاسيلوف) فى حَنَق :

— وبِمَ تبرِّر فرار الوحش من الرجال ، ومنعهم من التصويب إلى عينيه .

بُهت (نور) للسؤال المفاجئ ، وعقد حاجبيه مفكرًا ، ثم غمغم فى خفوت :

— ربَّما يجيد لغتنا .

أطلق (فاسيلوف) ضحكة ساخرة مجلجلة ، لدى سماعه هذا القول ، ثم قال فى تهكم واضح :

— لِمَ لا تقول أيضًا إنه أتى للتفاوض معنا ، وعقد معاهدة سلام ، لا من أجل اختطاف الحرّاس والتهامهم ؟

ظهر الغضب على وجه (نور) ، وقال فى جِدَّة :

— ربَّما .. وهناك على أية حال وسيلة مثالية لإثبات ذلك .

انحنى (فاسيلوف) إلى الأمام ، وتألق بريق ساخر فى عينيه ، وهو يقول :

— وكيف أيها البطل ؟

اعتدل (نور) فى وقفته ، وظهرت دلائل الحزم والعزم فى ملامحه ، ودار ببصره فى وجوه رفاقه لحظة ، قبل أن يقول فى صرامة :

— بأن نلج الحفرة ، ونصل إلى نهر القمر الداخلى .

* * *

اتسعت عيون الجميع فى دهشة ، حينما نطق (نور) بهذه العبارة ، وهتفت (سلوى) فى استنكار :

— ماذا تقول يا (نور) ؟.. هل تريد منا أن نلقى أنفسنا بين براثن وحش القمر ؟

قال (نور) فى صرامة وحزم :

— إنها الوسيلة الوحيدة لحلّ غموض اللغز ، وإثبات صحة استنتاجى يا (سلوى) .

هتف (محمود) :

— ولكنه نوع من الانتحار !

انتقل كل عناد (نور) وصلابته إلى صوته ، وهو يقول فى شموخ :

— إنه واجبى يا (محمود) .

تبادل الجميع نظرات القلق والحيرة ، فى حين أردف (نور) :

— وهذا لا ينطبق عليكم يا رفاق ، فأنتم مدنيون ، لكم الحق فى رفض أو قبول أية مهمة ، أمّا أنا فلست أملك ذلك ، فأنا أؤدّى ما أكلَّفه فحسب .

غمغم (رمزى) :

— حتى ولو أدّى ذلك إلى مصرعك ؟

تنهّد (نور) ، وقال فى صلابة وحماس :

— نعم يا (رمزى) .. كل شىء يهون من أجل مصر .

نقلت عبارته الأخيرة حماسته إلى قلوب الجميع ، فهتف (رمزى) :

— ولن نكون أقل تضحية منك يا (نور) .. سأرافقك إلى هناك .

وهتفت (سلوى) :

— وأنا لن أفارق زوجى أبدًا .

فى حين تخضّب وجه (محمود) بحمرة الخجل ، وهو يغمغم :

— أظن أنكم تحتاجون إلى خبير أشعة .. أليس كذلك ؟

ابتسم (نور) ، وهو ينقل بصره بين وجوه رفاقه فى امتنان ، ثم أدار عينيه إلى (فاسيلوف) ، وقال فى حزم :

— هل سمعت يا سيادة العقيد ؟.. سيخترق الفريق كله تلك الفجوة إلى قلب القمر .

ثم أردف فى صرامة :

— وسنعود بالدليل القاطع .. أو لن نعود أبدًا .

* * *



٨ ـ وداع الأبطال ..

زفرت (سلوى) فى قوة ، وهى ترتدى ملابس الفضاء الخاصة ، وقالت فى حنق :

ــ أمن الضرورى أن نرتدى تلك الثياب ، ونحن نبدأ رحلتنا يا (نور) ؟

ابتسم وهو يقول :

ــ نعم للأسف يا زوجتى العزيزة ، فلا تنسىْ أننا ننطلق إلى مكان مجهول ، وقد يقودنا إلى سطح القمر .. أو إلى منطقة تحمل نفس جوّ القمر ، ومن حسن الحظ أن ثياب الفضاء فى عصرنا هذا رقيقة خفيفة ، وليستِ كثيفة ثقيلة كثياب الفضاء فى القرن العشرين .

زوت ما بين حاجبيها ، دون أن تنطق بكلمة ، وأكملت ارتداء ثوبها الفضائى اللامع ، قبل أن تغمغم :

ــ يبدو أننى أرتجف ، فأنا أجد صعوبة فى إحكام الثوب .

تطلّع إليها (نور) فى حنان وإشفاق ، وقال :

ــ أعلم أنها رحلة بالغة الخطورة ياعزيزتى ، ولكنها وسيلتنا الوحيدة للوصول إلى ما نبتغى .

مطّت شفتيها ، وهى تقول :

ــ أعلم هذا يا (نور) .. أعلم هذا .

التقط كل منهما خوذته الزجاجية ، وعاونها (نور) على إحكام ثوبها ، ثم سار كل منهما إلى جوار الآخر فى صمت ، حتى التقيا بـ (رمزى) و(محمود) فى ثوبيهما الفضائيين ، وسار الأربعة جنبًا إلى جنب عبر الممر الطويل ، وانعكست أضواء الممر على ثيابهم ، فالتمعت ، وبدوا كأربعة من أبطـــال الأساطير ، فى طريقهـــم إلى رحلـــة طويلـــة .. رحلة إلى الموت ..

* * *

كانت دهشة (نور) وفريقه عظيمة ، حينما وجدوا (فاسيلوف) ورجاله التسعة فى انتظارهم ، أمام الحفرة المخيفة ، وهم يرتدون زى المناسبات الخاصة ، والموشّى بخيوط الذهب ، والمزيّن بالأزرار اللامعة ، ذات البريق الأخّاذ ، وقد نصبوا علمى مصر والاتحاد السوفيتى جنبًا إلى جنب ، إلى جوار الحفرة ، ولم يكد (فاسيلوف) يراهم ، حتى صاح فى قوة :

— انتباه .

وارتفع دوىّ أقدام الجنود ، وهو تصطك بعضها ببعض فى آن واحد ، ورفع كل منهم يده إلى رأسه فى تحية عسكرية قوية ، وهم يقفون منتصبى القامة ، كما يحدث فى الاستقبالات الرسمية .

حتى (فاسيلوف) رفع يده بالتحية العسكرية فى احترام ، ثم مدّها يصافح (نور) فى قوة ، وأشار إلى مجموعة أشياء ، مرتّبة فى عناية ، وهو يقول :

— لقد أعددنا لكل منكم مصباحًا ضوئياً صغيرًا ، ومسدّسًا ليزريًا ، وعلبة من الأطعمة الفضائية المحفوظة .

كان يتحدّث فى لهجة رقيقة ، تحمل الكثير من الاحترام ، حتى بدا وكأنما تحوّل إلى رجل آخر ، ويبدو أنه قد لاحظ الدهشة على وجوههم ، فابتسم فى هدوء ، ويمّم وجهه شطر (نور) ، وهو يعقد كفيه خلف ظهره ، قائلًا فى هدوء :

— قد يختلف كل منا مع الآخر ، فى رؤيته للأمور ، ووسائل تنفيذه لها ، ولكننى واثق من أن كلًّا منا يسعى للهدف نفسه ، ألا وهو إقامة العدالة ، والعمل على رفعة الوطن ، وإن تعارض أسلوبانا تمامًا ، ولكننى على أية حال رجل عسكرى ، أحترم الشجاعة والإصرار ، والثقة بالنفس ، حتى فى قلوب الأعداء .

أدهشت كلماته الفريق ، فلم تكن تحمل صلفه وكبرياءه المعتادين ، ولقد بدت لهم ابتسامته صافية ودودًا ، وهو يصافحهم ، قائلًا فى حرارة :

— أتمنى لكم التوفيق .

ثم تراجع خطوة ، ورفع يده بالتحية العسكرية ، وبادله إياها (نور) بابتسامة صافية ، ثم هبط إلى الفجوة ، وتبعه رفاقه بلا تردّد ، وظلّ (فاسيلوف) رافعًا يده إلى رأسه حتى اختفى آخرهم فى الفجوة ، ثم أعادها إلى جواره ، وهو يغمغم فى أسف :

— وداعًا أيها المصريون .. وداعًا أيها الأبطال .

* * *

كانت الفجوة تزداد اتساعًا ، كلّما تعمّق فيها أفراد الفريق ، الذين أخذوا يتقدّمون فى حذر بالغ ، وهم يضيئون طريقهم بمصابيحهم الضوئية ، ويتأمّلون المكان حولهم مشدوهين مبهورين ..

كان النفق الذى يهبطون به أشبه بصخور الجرانيت ، تسرى فى جوانبه عروق برّاقة من مادة أشبه بالفضة ، تتألّق فى قوة حينما تسقط عليها أضواء المصابيح ، وكان النفق نفسه يتّسع على نحو منتظم ، حتى بدا أشبه ببوق ضخم ..



كانت الفجوة تزداد اتساعا ، كلما تعمق فيها أفراد الفريق ، الذين أخذوا يتقدمون فى حذر بالغ .

ومضت دقائق ، وهم يهبطون فى صمت ، حتى لاح لهم ضوء خافت ، يأتى من نهاية النفق ، فغمغم (نور) :

ــ يبدو أننا نقترب من الهدف يا رفاق .

لم ينطق أحدهم بكلمة ، وإن سرت فى جسد كل منهم رعدة قوية ، وخيالهم يسبح محاولًا تخيّل ما ينتظرهم عند ذلك الضوء ، الذى أخذ يزداد سطوعًا مع تقدّمهم ، حتى أصبح بإمكانهم إطفاء مصابيحهم ، والرؤية فى وضوح ، فهتف (محمود) فى فضول :

ــ من أين يأتى هذا الضوء يا تُرى ؟

أجابه (نور) ، وهو يواصل تقدّمه :

ــ لا تتعجّل يا (محمود) ، سيتضح لنا كل شىء عمّا قريب وربّما ..

بتر (نور) عبارته فجأة ، وأعقبها بشهقة قوية ، تشفّ عن دهشة عارمة ، حينما وصل إلى نهاية النفق ، وتسمّر فى مكانه مشدوهًا ، مما جعل رفاقه يتدافعون لمشاركته الرؤية ، ولم تكد أبصارهم تقع على ما أدهشه ، حتى شهق كل منهم بدوره ، واتسعت عيونهم فى أعماق القمر ..

ذلك التابع الصامت ، الخاضع لكوكب الأرض ، والذى أكّدت النظريات والدراسات خلوّه من أى أثر للحياة ..

لقد رأوا أجمل حديقة فى الكون كله ..

كانت تمتد أمامهم ، إلى ما لا نهاية ، حديقة رائعة التكوين والتنسيق ، تنتشر فيها أزهار شفّافة ملوّنة ، لها بريق ساحر ، كأنها مصنوعة من الماس النقى ، وأوراقها تبرق كالذهب ، وتومض كالمصابيح الملوّنة ، ومن أسفلها تنتشر حشائش فضية ، تتمايل فى نعومة وهدوء ، على الرغم من عدم وجود أى مصدر هوائى ..

وفى منتصف الحديقة القمرية الساحرة تمامًا ، يتدفّق جدول صغير ، تتموّج مياهه الخضراء الصافية ، وتنساب فى نعومة ورقة ..

والنفق نفسه تحوّل إلى فراغ هائل ، ترتفع جدرانه عالية ، وتتقاطع فيها تلك العروق الفضية ، التى ينعكس عليها ضوء الزهور الماسية ، لينعكس مضيئاً المكان كله ..

وخفق قلب (سلوى) من فرط الانبهار والنشوة ، وغاب عنها ذلك الغرض المخيف ، الذى هبطوا من أجله إلى قاع القمر ، أمام جمال المشهد الساحر ، وفغر (محمود) فاه فى انبهار ، وغمغم (رمزى) مشدوهًا :

— سبحانه الله !!.. يبدع الخلق أينما يشاء ، وكيفما يريد !!

مضت لحظات وهم يتأمّلون فى المكان فى نشوة ، قبل أن يغمغم (نور) مأخوذًا :

— يا للعجب !!.. كيف ينمو وحش بشع كهذا وسط جمال ساحر هكذا ؟

انتزعتهم عبارة (نور) من ذهولهم ونشوتهم، وقال (رمزى):

— ربّما لا يبدو ذلك المشهد له جميلًا .

هزّ (نور) رأسه ، وهو يغمغم :

— كل شىء ممكن يا (رمزى) .. كل شىء ممكن ..

وفجأة لم يعد أحد منهم يشعر بجمال المشهد الساحر ، فلقد ارتفع من خلفهم فجأة فحيح مخيف ، واستداروا بالتفاتة رجل واحد ، ليجدوا أنفسهم أمام ذلك الذى جاءوا من أجله ..

أمام وحش القمر ..

* * *

كان التناقض واضحًا وعجيبًا ، ما بين جمال الحديقة الغنّاء ، وبشاعة الوحش الذى انتصب بنصفه العلوى أمامهم ، وهو يبرز أنيابه الحادة المخيفة ، ويحدّق فى وجوههم بعينيه الواسعتين الحمراوين فى لون الدم ، ويصدر فحيحه

المزعج المخيف ، الذى جعله أشبه بثعبان الكوبرا ، خاصةً حينما تراقص نصفه السفلى الشبيه بذيل الثعبان ، قبل أن يرفع ذراعيه نحوهم ، ويتقدّم منهم فى بطء .

وتراجع الجميع فى خوف ، وأشار (نور) إلى رفاقه بذراعه اليسرى ، يدعوهم للابتعاد ، فى حين أخرج هو مسدسه الليزرى ، وصوّبه إلى رأس الوحش ..

وفجأة تحرَّك ذيل الوحش الثعبانى ، ولطم مسدس (نور) ، فطوّح به بعيدًا ، على الرغم من قبضة (نور) القوية ، ثم استدار إليه ، وهو يطلق فحيحه المخيف .

امتلأ قلب (سلوى) بالفزع ، وأطلقت صرخة جزعة ، فى حين أطلق (رمزى) و(محمود) مسدسيهما الليزريين على الوحش ، الذى أطلق فحيحه القوى ، وهاجمهما فى شراسة ، فمزّق سترة (محمود) الفضائية ، وجزءًا من ذراعه بمخالبه ، ولطم (رمزى) لطمة قويّة بذيله ، ألقته وسط الحديقة الماسية ، ثم التفت إلى (سلوى) التى سقط مسدسها الليزرىّ من يدها من فرط الرعب ، وهى تتراجع فى فزع ..

وقفز (نور) يلتقط مسدّسه الليزرىّ ، وأطلق أشعته فى سرعة ، محاولًا إصابة الوحش فى عينيه ، ولكن الوحش لطمه

بذيله القوىّ ، وألقاه بعيدًا ، ثم انقضّ على (سلوى) ، وحملها بين ذراعيه فى قوّة ..

وأطلقت المسكينة صرخة رعب ، ثم غابت عن الوعى .

وأمام أعين أفراد الفريق ، وعلى الرغم من صرخات (نور) الملتاعة ، وهو يهتف باسم زوجته ، انطلق الوحش يزحف فى سرعة ، حاملًا فريسته ، واختفى فى كهف قريب ..

* * *



٩ ــ مطاردة فى أعماق القمر ..

انتفض قلب (نور) فى قوة ، وهو يهتف بكل مايحمله فى أعماقه من ألم ومرارة :

ــ يا إلٰهى !!.. كلَّا .. ليس (سلــــوى) .. ليس (سلوى) ..

وقفز ملتقطًا مسدَّسه الليزرىّ ، وانطلق يعدو بكل مايملك من قوة خلف الوحش ، حين هتف (رمزى) :

ــ كلَّا يا (نور) .. كلَّا ..

ولكنه ، وعلى الرغم من هتافه ، التقط مسدَّسه الليزرىّ ، وأسرع خلفه ، وتبعهما (محمود) دون تفكير ، وسرعان ماغاب الثلاثة فى أعماق الكهف المظلم ..

لقد أنساهم خوفهم بشاعة ذلك الوحش المرعب ..

خوفهم على (سلوى) ..

وعلى ضوء مصابيحهم ، اندفع الثلاثة يركضون ، داخل الكهف ، وقلوبهم ترتجف قلقًا عليها ، حتى انتهى بهم المطاف

عند نقطة يتفرَّع فيها الكهف إلى أربعة اتجاهات ، وهتف (نور) :

ــ يا إلٰهى !!.. فى أيها اختفى ذلك الوحش ؟

ثم أخذ يفحص أرض الكهف بمصباحة فى سرعة وتوتُّر ، قبل أن يشير إلى أقصى اليسار ، ويهتف فى حِدَّة :

ــ من هنا .. الآثار تؤكِّد أنه قد زحف من هنا .

انطلق الثلاثة يشقون طريقهم داخل الكهف الفرعى ، الذى أشار إليه (نور) ، حتى وصلوا إلى منطقة فسيحة، أشار (رمزى) إلى نهايتها ، هاتفًا :

ــ انظروا هناك .. إنها (سلوى) !

أسرع الثلاثة إلى حيث ترقد (سلوى) فاقدة الوعى ، فوق مصطبة حجرية مصقولة فى عناية ، وقد تحطَّمت خوذتها الزجاجية ، وتحسَّسها (نور) فى جزع ، وهو يهتف :

ــ هل قتلها ذلك الوحش ؟

فحصها (رمزى) فى سرعة ، ثم تنهَّد فى ارتياح ، وهو يقول :

ــ كلَّا يا (نور) .. إنها على قيد الحياة .

غمغم (محمود) فى صوت شديد الشحوب :

— أعتقد أنها أول من يصل إلى هنا حيًّا .

التفت إليه (نور) و(رمزى) فى دهشة ، ثم اتسعت عيونهما فى ذعر ، حينما وقعت على ما أظهره ضوء مصباحه ..

على هيكلين عظميين بشريين ، يرتدى أحدهما بقايا ثياب طاقم الحراسة المصرى الأزرق ، وتلتصق بعظام الآخر بقايا من ثوب طاقم الحراسة السوفيتى ، فغمغم (رمزى) فى شحوب :

— يا إلهى !!.. إنهما الحارسان .. لقد التهمهما عن آخرهما .

أشاح (نور) ببصره ، وهو يغمغم فى اشمئزاز وألم :

— يا للبشاعة !!

وفجأة هتف (محمود) :

— يا إلهى !!.. كيف لم ننتبه إلى هذا ؟

ثم نزع خوذته ، واستنشق الهواء فى عمق وهو يقول :

— لقد تحطمت خوذة (سلوى) ، ولكنها لم تمت ، وأنا تمزقت سترتى الفضائية ، دون أن أشعر بأى تغيير ، ونحن نسير ونركض على نحو طبيعى ، كما لو كنا على كوكب الأرض ، مع أننا قد غادرنا سجن القمر ، ومن المفروض أننا الآن فى مناخ قمرىّ ، حيث تصل الجاذبية إلى السدس ، وينعدم الأكسوجين فى الهواء .

هتف (نور) فى دهشة :

— يا إلهى !!.. هذا صحيح .. إن هذا المكان يخالف طبيعة القمر تمامًا .. إنه يبدو كأنه ...

وصمت فجأة ، قبل أن يستطرد فى تردّد :

— كأنه قد أُعِدّ بصورة صناعية .

سأله (رمزى) فى دهشة :

— ماذا تعنى يا (نور) ؟

عقد (نور) حاجبيه مفكرًا ، ثم لوّح بكفه ، قائلاً :

— ماذا لو تصوّرنا أن القمر فى سابق عهده لم يكن كما هو الآن ؟.. وأنه كان كوكبًا تابعًا لكوكب الأرض ، له جاذبيته ، ومناخه ، وغلافه الجوى ، ثم أصابته بعض العوامل ، التى جرّدته من غلافه الجوى ، كما يحدث الآن على كوكب الأرض(*) ، مما اضطر المخلوقات التى تحيا على سطحه إلى صنع مكان ملائم لمعيشتها فى باطن القمر ، وواصلت حضارتها فيه .

(*) كشف العلماء منذ بداية الستينات ، أن هناك فجوة تتسع تدريجيًا فى طبقة (الأيونوسفير) فى أعلى الغلاف الجوى ، وهذه الفجوة تسمح بنفاذ كميّات بالغة الخطورة على الأشعة الكونية ، واستمرارها فى الاتساع قد يؤدى إلى مصرع سكان كوكب الأرض ، أو إصابتهم بأمراض فتّاكة ، غير قابلة للعلاج .

غمغم (رمزى) :

ــ نظرية معقولة ولكن ..

قاطعته صيحة مفاجئة من (محمود) ، وهو يهتف :

ــ مهلًا يا رفاق .. لقد أنستنا غرابة الموقف أن وحش القمر مازال حرًّا طليقًا ، وربَّما كان يتربَّص بنا الآن .

عقد (نور) حاجبيه فى قوة ، وتلفَّت (رمزى) حوله فى قلق ، وهو يغمغم :

ــ هذا صحيح .. ولكن أين هو ؟

جاءتهم الإجابة على هيئة فحيح ، انبعث من مدخل الكهف ، فاستدار إليه الثلاثة فى سرعة ، ووقعت أضواء مصابيحهم على وجه الوحش البشع ، وهو يبرز أنيابه المخيفة ، ويلتقط من الأرض صخرة ضخمة ، ويرفعها عاليًا ، ثم يلقى بها نحوهم فى قوة ..

* * *

« لقد حصلنا على الاعتراف يا سيادة الرفيق العقيد » ..

رفع (فاسيلوف) عينيه فى بطء ، يتطلَّع إلى الحارس الذى نطق بهذه العبارة ، ثم تنهَّد ، ومطَّ شفتيه ، وهو يسأله فى هدوء :

ــ أى اعتراف ؟



ووقعت أضواء مصابيحهم على وجه الوحش البشع ، وهو يبرز أنيابه المخيفة ، ويلتقط صخرة ضخمة ويرفعها عاليًا ..

رفع الحارس حاجبيه فى دهشة ، وهو يقول :

ـ اعتراف المسجونين الأربعة أيها الرفيق العقيد ، لقد اعترفوا بما طلبناه منهم ، بعد أن أقنعتهم وسائل الاستجواب .

عاد (فاسيلوف) يمطُّ شفتيه ، وهو يغمغم فى حزن :

ـ اعترفوا بما طلبناه منهم ؟!

ثم التقط كأس (الفودكا) الموضوعة أمامه ، وألقى بمحتوياتها فى حلقه دفعة واحدة ، فى حين سأله الحارس فى اهتمام :

ـ هل نرسل الاعترافات إلى القيادة يا سيِّدى ؟

عقد (فاسيلوف) حاجبيه ، وهو يقول فى صرامة :

ـ بل مزِّقها ، وألق بها فى أنبوب شفط الفضلات .

هتف الحارس فى دهشة :

ـ ماذا ؟

صاح (فاسيلوف) فى حِدَّة :

ـ افعل كما أمرتك ، وأعد هؤلاء المساكين الأربعة الى حجرتهم ، وقدِّم لهم كل ما يطلبونه ، وسأذهب بنفسى لأقدِّم لهم الاعتذار المناسب .

تجلَّت الدهشة بكل صورها على وجه الحارس ، إلَّا أنه أومأ

برأسه إيجابًا ، وأدَّى التحية العسكرية فى احترام ، ثم ذهب لينفذ الأوامر فى حَيْرة ، فى حين نهض (فاسيلوف) من خلف مكتبه ، ووقف يتطلَّع إلى الحفرة الصامتة ، من خلف زجاج نافذة حجرته ، ثم لاح الأسف والحزن فى قسماته ، وهو يغمغم :

لقد كنت على حق أيها الرائد المصرى .. حتى الملائكة يمكنها أن تعترف بالخطيئة ، إذا ما تعرَّضت لهذا الاستجواب الوحشى .. إنه وسيلة عقيمة .. عقيمة للغاية .

وتنهَّد فى أسف .. قبل أن يستطرد :

ـ البطولة الحقيقية هى أن يفعل المرء ما فعلت أنت ورفاقك ، فيخاطر بروحه ونفسه فى سبيل ما يؤمن به ، لا أن يسوم العاجزين العذاب .

وتعلَّق بصره بالحفرة ، وهو يهتف من أعماقه :

ـ عد حيًّا بالله عليك أيها الرائد المصرى .. عد لترى (فاسيلوف) الجديد ، الذى أعادت إليه شجاعتك آدميته .. عد أيها البطل .

* * *

دفع (نور) (رمزى) بعيدًا ، وقفز هو جانبًا متفاديًا الصخرة الضخمة ، ثم هتف وهو يقفز إلى يمين الوحش :

— حاولا محاصرته ، وصوّبا على العينين مباشرة .. اطلق أنت من اليمين يا (رمزى) ، وسأطلق أنا من اليسار ، وليطلق (محمود) من المنتصف .

تباعدوا ليصنعوا نصف دائرة ، أحاطت بالوحش الذى أخذ ينقل بصره بينهم فى حذر ، وهو يطلق فحيحه المخيف ، ثم دار حول نفسه فجأة ، ليتلقّى أشعة مسدساتهم فى ظهره القوى ، المغطى بالحراشيف ، وانعكست الأشعة عن ظهره ، وتألق الكهف ، بضوء قوى لانعكاسها ، فى حين لطم هو بذيله (رمزى) ، وأداره ليلطم (محمود) ، وانحنى موليًا ظهره لـ (نور) ، والتقط مسدسيهما الليزريين ، وهشّمهما بأصابعه الثلاث فى بساطة ، كأن كلًا منهما مصنوع من الورق المقوى ، والتفت إلى (نور) الذى صوّب مسدسه إلى عينه اليسرى ، وأطلق أشعته ..

وصرخ الوحش فى قوة ، حينما اخترقت الأشعة عينه اليسرى ، التى انفجرت فى صوت مسموع ، وتناثر منها سائل أصفر داكن ، وبدت صرخته أشبه بمزيج من خوار الثور ، وفحيح الأفعى ، ولكنه لم يسقط ، بل تحرَّك فى سرعة ضاعفها الألم ، وزادها شراسة ، فلطم (نور) بذيلـه الحرشوفى

القوىّ ، ثم اختطف مسدسه ، وحطّمه فى قوة ، وألقاه بعيدًا ، وانقضَّ على (نور) .

واتسعت عيون (رمزى) و(محمود) فى رعب ، حينما رأوا (نور) بين ذراعى الوحش ، يحاول مقاومته فى بأس ويأس ، وأنياب الوحش السامة تندفع إلى عنقه بلا رحمة ..

* * *



١٠ ـ ملائكة القمر ..

رأى (نور) الموت يقترب منه ، فى أنياب الوحش الحادّة السامة ، وصار أقرب إليه من حبل الوريد ، ولكن سطع فى الكهف فجأة ضوء وردىّ عجيب ، وأطلق الوحش تلك الصرخة ، تجمع ما بين خوار الثور وفحيح الأفعى ، ثم تراخت ذراعاه حول جسد (نور) ، وترنّح لحظة ، قبل أن يهوى جثة هامدة ..

وتطلّع (نور) و(رمزى) و(محمود) فى ذهول إلى الوحش الصريع ، غير مصدّقين نجاتهم من براثنه ، ثم هتف (رمزى) :

ـ ماذا حدث ؟.. كيف لقى مصرعه هكذا ؟! وما سر ذلك الضوء الوردى ؟

أجابه صوت موسيقى عذب ، يفيض بالرقة والدعة والهدوء :

ـ القتل شىء بغيض يا ولدى ، ولكنه يتحوّل إلى أمر

حتمى ، حينما يكون هدفه إنقاذ ضحايا أبرياء .

التفت الثلاثة إلى مصدر الصوت فى دهشة ، ثم اتسعت عيونهم فى ذهول وانبهار ..

لقد كان يقف أمامهم ملاك ..

أو هو أقرب المخلوقات شبها بالملاك ، كما تصوّره بنو البشر ..

مخلوق بالغ الروعة والجمال ، تحمل ملامحه أسمى آيات الرقة والوسامة والوداعة ، بشرته بيضاء فى لون الشمع ، ويرتدى ثوباً أبيض اللون ، من خيوط لامعة فى هدوء ، وخلف ظهره برز جناحان كجناحى حمامة بيضاء ضخمة ، وكان يبتسم فى هدوء بفمه البالغ الدقة ، الذى بدا كثقب صغير وسط وجهه ، وبدت عيناه شفافتين فى صفاء ، وهو يستطرد أمام دهشتهم العارمة :

ـ مرحبًا بكم ، وحمدًا لله على نجاتكم من (البنداريوس) .. أنا (فان) ، واحد من شعب القمر المسالم .

ولم يتلقّ (فان) جوابًا ، فقد كان الذهول يملأ قلوب الجميع ..

* * *

عشرات المخلوقات الشبيهة بالملائكة أحاطت بـ (نور) ورفيقيه ، ودون تبادل كلمة واحدة أخذ بعضهم يسعفون (سلوى) فى رقة وعناية بالغتين فى حين أخذ أحدهم يدهن ذراع (محمود) المصابة بدهان عطرى ناعم ، ثم يحيطها بأربطة رقيقة فى لون الورد ، وابتسم (فان) تلك الابتسامة العذبة الوديعة ، وهو يقول لـ (نور) فى لهجة أقرب إلى الاعتذار :

ـــ لقد كان من المؤسف ان يفرّ (البنداريوس) من سجنه ، ويلحق بكم كل هذا الأسى .. لقد كان آخر تلك المخلوقات المفترسة ، وكنا نحتفظ به لدراسته فحسب ، لم نكن نتصوَّر أنه من الممكن أن يفرّ ويصنع كل هذا .

تطلّع إليه (نور) و(رمزى) و(محمود) فى دهشة عارمة ، وسأله (نور) فى لهفة :

ـــ من أنتم ؟

ازدادت ابتسامة (فان) رقة ووداعة ، وهو يقول :

ـــ سيجيبكم الحكيم الأكبر على كل أسئلتكم ، حينما نذهب إليه .

سأله (محمود) فى دهشة :

ـــ أين ؟

أشار (فان) إشارة مبهمة ، وهو يقول :

ـــ هناك ، فى مدينتنا (لونا) .

ثم انحنى أمامهم فى هدوء ، وهو يقول :

ـــ اتبعونى .

تبعه الثلاثة فى دهشة وحَيْرة ، وخلفهم بعض هؤلاء أشباه الملائكة ، يحملون (سلوى) على محفة مخملية ناعمة ، و(فان) يتقدَّم الجميع عبر الكهف المظلم ، إلى أن وصلوا إلى الحديقة الساحرة ، فاجتازوها بمحاذاة الجدول الرقيق ، حتى وصلوا إلى باب فِضِّىّ بالغ الضخامة ، توقَّف (فان) أمامه ، ولوَّح بكفه ، فتحرَّك الباب فى هدوء ، وبلا أدنى صوت ، كاشفًا أعظم مشهد فى الكون ..

مدينة كاملة من المرمر الوردى الشفَّاف ، تنتشر فى أرجائها حدائق الزهور الماسية ، وتحلّق فى سمائها المخلوقات الرقيقة الوديعة ، وهى ترفرف بأجنحتها فى هدوء ، ويمتدّ من الباب الفضى إلى القصر المرمرىّ الوردىّ ، الذى يتوسَّط المدينة ، ممرّ من المرمر السماوىّ الجميل ، الذى تجرى على جانبيه جداول المياه الشفَّافة ..

وسار الجميع فوق الممر المرمرىّ السماوىّ ، و(نور) و(رمزى) و(محمود) ينقلون أبصارهم حولهم فى انبهار وذهول ، حتى ندت آهة من بين شفتى (سلوى) ، فأسرع (نور) إليها ، ومسح على رأسها فى حنان ، وهو يقول :

ـ حمدًا لله على سلامتك ونجاتك يا زوجتى العزيزة .

تأوَّهت (سلوى) مرة أخرى فى ألم ، ثم فتحت عينيها فى بطء ، وهى تغمغم :

ـ أين أنا ؟

واتسعت عيناها فى ذهول ، وهى تحدّق فى المشهد الساحر ، ثم أسرعت تهتف :

ـ لا تخبرنى يا (نور) .. سأخبرك أنا .. لقد استشهدنا وذهبنا إلى الجنة ، أليس كذلك ؟..

ابتسم (نور) وهو يقول فى حنان :

ـ نعم يا عزيزتى ، إن كل ما يبهرك هنا لا يساوى ذرة واحدة من جنة الله (سبحانه وتعالى) حيث هناك ما لا عين رأت ، ولا أذن سمعت .. إننا ما زلنا على قيد الحياة .

هتفت وهى تتطلَّع حولها فى انبهار وحَيْرة :

ـ على قيد الحياة ؟!.. أين نحن إذن ؟

أجابها فى خفوت :

ـ فى قلب القمر يا عزيزتى .

صاحت فى ذهول :

ـ فى قلب القمر ؟!

ربَّت على رأسها فى حنان ، وهو يقول :

ـ نعم يا عزيزتى ، فلتهدأ نفسك ، لقد زال الخطر ، وسنلتقى بالحكيم الأكبر بعد لحظات ، وسيخبرنا هو بكل ما نعجز عن فهمه .

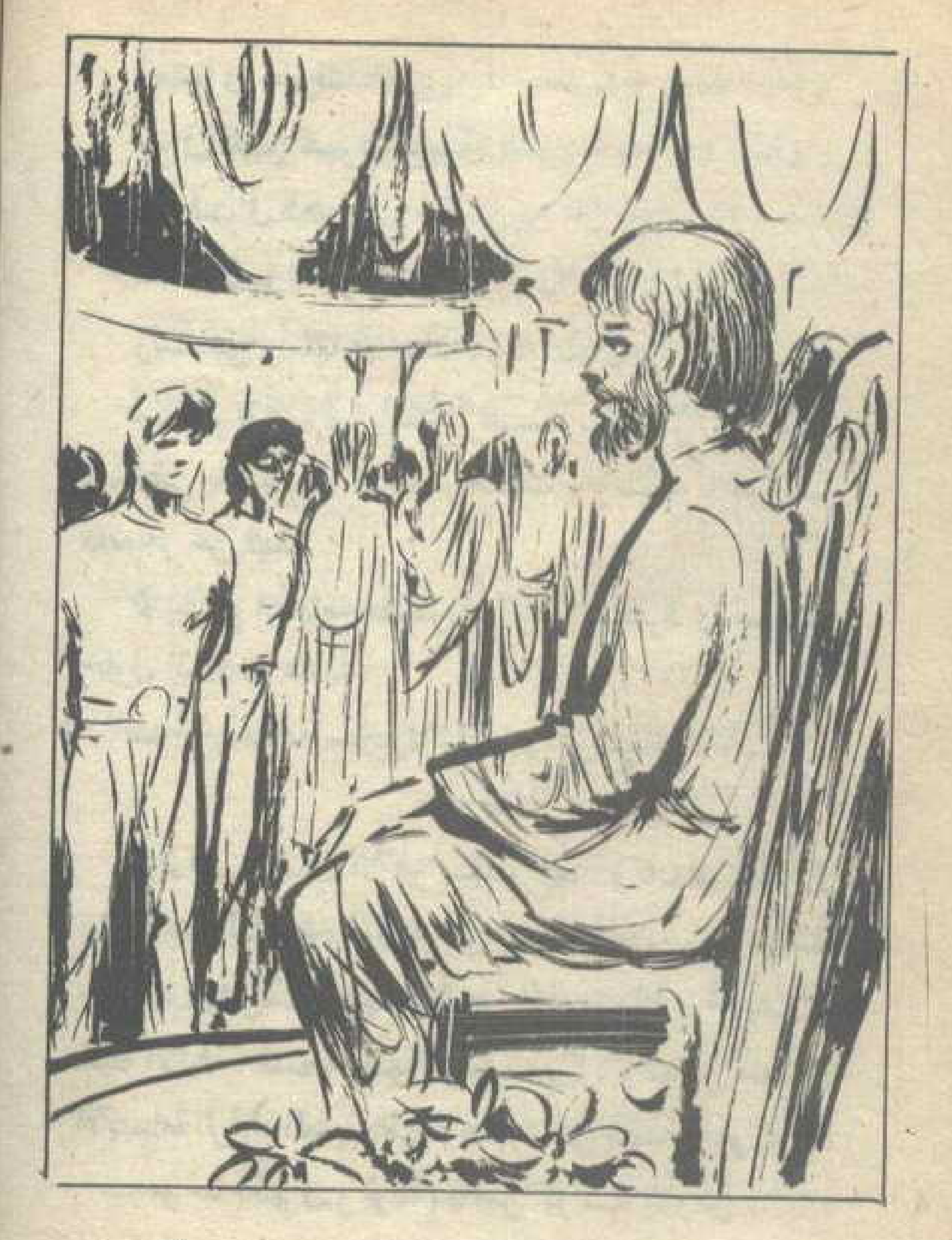
ثم ابتسم ابتسامة مضطربة ، وهو يستطرد فى صوت حاول أن يجعله هادئًا :

ـ أو ربَّما أنه سيخبرنا بما نعجز عن فهمه تمامًا ..

* * *

كان قصر الحكيم الأكبر بسيطًا أنيقًا ، وكان هو يجلس فى نهاية قاعته الواسعة ، فوق عرش مرمرى أخضر ، بدا متناسقًا مع ثوبه وبشرته ، بلونيهما الأبيض الهادئ ، الذى أضيف إلى لحيته الأنيقة ، فمنحه مظهرًا وقورًا مهيبًا ، لم تنتقص منه تلك الابتسامة الرقيقة العذبة ، التى ارتسمت على شفتيه ، وهو يقول :

ـ مرحبا بكم فى (لونا) يا أهل كوكب الأرض .



كان يجلس فى نهاية قاعته الواسعة ، فوق عرش مرمرى أخضر ..

لم يتمالك (نور) فضوله ، فأسرع يسأله فى اهتمام :

ــ من أنتم ؟

أجابه الحكيم الأكبر فى دعة .

ــ البقية الباقية من شعب القمر :

أسرع (رمزى) يسأله :

ــ هل تقيمون هنا منذ بدء الخليقة ؟.. أقصد خليقتكم بالطبع !

أجابه الحكيم الأكبر فى رقة :

ــ سأخبركم بكل شىء يا ولدى ، فلا تقلق .

إلّا أن (محمود) سأله فى لهفة :

ــ كيف اتفق أنكم تتحدثُون لغتنا ؟

لم يفقد الحكيم الأكبر ابتسامته أو هدوءه ، أمام هذا السيل المنهمر من الأسئلة ، وإنما قال لـ (محمود) فى رقة :

ــ الصبر يا ولدى هو خير الفضائل ، ولو انتظرتم قليلًا فستعلمون كل شىء عنا ، مما يشبع فضولكم العلمىّ تمامًا .

ثم تنهَّد فى هدوء ، قبل أن يبدأ قصته ، قائلًا :

ــ حينما نشأت الحياة على سطح كوكبنا هذا ، منذ عدة ملايين من السنين ، لا ندرى عددها بالتحديد ، لم يكن مجرَّد تابع للأرض كما هو الآن ، بل كان كوكبًا مستقلًا ،

له جاذبيته ، وغلافه الجوى ، وبحاره ، ونباتاته وجباله ، وسحبه وسماؤه ، وكان يدور حول نفسه فى انتظام ، كما يفعل كوكب الأرض ، ولقد نشأت الحياة بدائية بالطبع ، ولكنها تطوّرت بأسرع من مثيلتها على كوكب الأرض كثيرًا ، لسنا ندرك لماذا ؟.. ربّما لأننا لم نضع الكثير من الوقت فى كشف وتطوير وسائل النقل ، فقد كانت أجنحتنا تكفينا ، حتى أن أول ما صنعناه من هذه الوسائل كان سفن الفضاء ، التى نقلتنا إلى كوكبكم .

هتفت (سلوى) فى دهشة :

ـــ هل قمتم بزيارة كوكب الأرض ؟

أجابها فى هدوء :

ـــ نعم يا بنيتى ، منذ عشرات القرون ، ومازالت بعض الرسوم ، التى وضعها فنانو كوكبكم لنا ، تحتل أماكنها البارزة فى الكثير من اللوحات .

ارتفع حاجبا (رمزى) فى دهشة ، وهو يهتف :

ـــ يا إلهى !!.. إذن فأنتم ..

قاطعه الحكيم الأكبر ، وهو يقول فى هدوء :

ـــ نعم يابنى .. نحن من تطلقون عليهم اسم (الملائكة) .

* * *

١١ ـــ كفاح شعب ..

اتسعت عيون أفراد الفريق فى ذهول ، وهتف (نور) فى استنكار :

ـــ هذا مستحيل ، فالملائكة مخلوقات سامية ، لا تختفى فى جحور فى باطن القمر .

ظلّ الحكيم الأكبر هادئاً ، رقيقًا ، مبتسمًا ، وهو يقول :

ـــ إننى لم أدّع أننا ملائكة حقًّا يا بنى ، فالملائكة دفق من النور الصافى ، وهم بدعة الخالق (عزّ وجلّ) فى خلقه ، وإنما قلت إنكم أطلقتم علينا هذه التسمية ، وتفسير ذلك سابق لأوانه ، فدعنى أتم قصتى .

تضرّج وجه (نور) بحمرة الخجل ، وهو يقول :

ـــ استمرّ يا سيّدى .

عاد الحكيم الأكبر يقول :

ـــ وحينما بلغنا ذلك القدر من الحضارة لم يكن شعب القمر بتلك الوداعة التى ترونها ، الآن ، بل لم يكن شعبًا واحدًا ، وإنما

كان عدة شعوب متناحرة متصارعة ، بينها من وصل إلى ذروة الحضارة ، ومن يحاول النهوض بحضارته فى صعوبة ، ثم أخذ فلكيو الدول القمرية يرصدون كوكب الأرض ، ويتابعون فى شغف تطوّر الحضارة البطىء على سطحه ، وبرزت فكرة ارتياد الفضاء ، ثم لم تلبث أن أصبحت حقيقة ، وهبطت أولى سفننا الفضائية على سطح كوكبكم فى سنوات ما قبل ميلاد المسيح ، وحاولنا أن نقيم الصداقات مع شعوبكم ، ولكن الفارق الحضارى كان رهيبًا ، وكل ما فهمته شعوبكم هو أننا من السماء ، فظنوا أننا الملائكة ، التى تحدثت عنها كل الأديان ، وصار تكويننا هو تكوين الملائكة كما تتصوّرونها ، فى حين أن الملائكة الحقيقية أكثر بهاءً وروعةً منا بمراحل شتى .

صمت الحكيم الأكبر لحظة ، وكأنما يلتقط أنفاسه ، ثم استطرد بنفس الهدوء والوداعة :

ــ وبدأ الطمع يجد طريقه إلى قلوب زعماء دولنا المتحضّرة ، واشتعلت الحروب على سطح القمر ، وكل دولة تظن أنها ستفوز بزعامة الكوكب ، ولكن النتائج كانت الدمار للجميع .. لقد بدأ الغلاف الجوى لنا يضمحل ويتلاشى ، مع الأسلحة المدمّرة التى كنا نستخدمها فى حروبنا ، وأدرك العلماء

ذلك بعد فوات الأوان ، وهنا فقط اتحدت كل الدول ، وتناست ما بينها من حروب وخلافات ، فقد باتت المهمة الأولى ، هى إنقاذ القمر وسكّانه ..

وبدا الأسف على وجهه لحظة ، قبل أن يتابع :

ــ ولكن فرصة النجاة كانت قد فاتت ، فأسرع الجميع يقيمون هذه المدينة العظيمة فى قلب القمر ، بعد أن قدّر العلماء أنه سيتوقّف يومًا عن الدوران ، وسيفقد غلافه الجوى ، وستنهال عليه النيازك ، التى لم يعد هناك غلاف جوى يحميه منها ..

وتنهّد ، ثم واصل قائلًا :

ــ وهكذا انتقلت حضارة القمر ، بسبب حماقة أبنائه ، من السطح إلى الجوف ، وجهّزنا هذا المكان المزوّد بكل وسائل الحياة ، تمامًا كما فعلتم أنتم حينما أقمتم سجن القمر ، وظللنا نتابع تطوركم وحضارتكم لآلاف السنين ، حتى وصل أول رجالكم إلى القمر ، ووطئ سطحه ، بقدمه ، وهنا أدركنا أنه ينبغى النظر إلى تطوّركم بنظرة جادّة ، فاجتمع مجلس الحكماء ، كنت يومئذ شابًا ، ودرسنا الموقف ، وقدّرنا أن طموحكم لن يتوقّف عند حد ، وأنه ليس أمامنا سوى كشف أمرنا لكم ، أو إخفائه عنكم .

هتف (نور) فى أسف :

ـ ولماذا لجأتم إلى إخفائه ؟

ابتسم الحكيم الأكبر فى هدوء ، وهو يقول :

ـ لأنكم لم تتطوّروا روحيًّا مثلما فعلنا نحن ، بعد أن أدركنا أن الشرور كانت سببًا فى دمار الجميع يا بنىّ .. إن مدينتنا تمتلئ ببعض أنواع المعادن ، التى ترونها أنتم نادرة وجميلة ، وتتقاتلون من أجلها ، مثل الماس والذهب والفضة ، ولقد أدركنا من مراقبتكم ، ومعرفة لغاتكم ، أنكم مازلتم تعانون رذيلة الطمع ، التى تجعل بعضكم لا يتورَّع عن تدمير عالمنا كله ، من أجل حفنة من الذهب والماس ، ونحن ، ومنذ قرون ، شعب مسالم وديع ، لا يميل إلى العنف أو العدوان .

سأله (محمود) فى لهفة :

ـ وما هو (البنداريوس) البشع هذا ؟.. وكيف وصل إلى سجن القمر ؟

قال الحكيم الأكبر فى أسف :

ـ (البنداريوس) كائنات وحشية مفترسة ، كانت تحيا على سطح القمر قبل أن ننتقل للعيش فى أعماقه ، ولقد دفعت الغريزة بعضهم إلى الاختفاء فى عالمنا الجديد ، حيث تتوافق

الظروف مع ما كان عليه سطح الكوكب قبل الكارثة ، ولقد دخلنا فى صراعات عديدة مع هذه الكائنات ، حتى لم يبق منها سوى ذلك (البنداريوس) ، الذى فرَّ من سجنه ، وقادته غريزته إلى المكان الوحيد على سطح القمر ، الذى يشبه مناخه مناخنا ، ألا وهو سجن القمر .

غمغم (نور) فى هدوء :

ـ ولقد قادنا ذلك إلى كشف السر الذى أخفيتموه عشرات السنين .

أومأ الحكيم الأكبر برأسه إيجابًا ، وهو يقول فى أسف :

ـ هذا صحيح .

سأله (نور) :

ـ ولماذا لم تطاردوا ذلك (البنداريوس) ، وتتخلَّصوا منه على الفور ؟

أجابه الحكيم الأكبر فى أسف :

ـ لقد بحثنا عنه بالفعل ، ولكنه كان يراوغنا طوال الوقت ، حتى عثرنا عليه بعد أن التهم ضحيتين منكم للأسف .

كاد (نور) يلقى سؤالًا آخر ، لولا أن برقت فى ذهنه فجأة فكرة مخيفة ، فعقد ساعديه أمام صدره ، وهو يقول للحكيم الأكبر :

— والآن هل تنوون كشف أمركم لعالمنا ؟

مطَّ الحكيم شفتيه ، وقال فى هدوء :

— ليس بعد يا ولدى ، فعالمكم لم يتخلَّص بعد من رذيلة الطمع ، للأسف .

عقد (نور) حاجبيه ، وهو يقول فى صرامة :

— لماذا أخبرتنا بكل ذلك ، وجعلت رجالك يقودوننا إلى هنا إذن ؟

خفض الحكيم الأكبر عينيه ، وهو يقول فى خفوت :

— لقد اقتضت الظروف ذلك يا ولدى ، وأخشى أننا ..

وصمت لحظة ، وكأنما يؤلمه ماسوف يقوله ، قبل أن يستطرد فى حزن :

— أخشى أننا لن نسمح لكم بعودتكم إلى عالمكم قط .

* * *

١٢ ـ الموت فى جنة القمر ..

شحب وجه (سلوى) ، وامتقع وجه (رمزى) و(محمود) ، إزاء هذا التصريح الخطير ، الذى أدلى به الحكيم الأكبر لشعب القمر .

لقد كانت كلماته تعنى فى بساطة أنهم سيعيشون ما بقى من عمرهم فى سجن القمر ..

ليس سجن القمر المعروف على السطح ، وإنما سجن قمرىّ حقيقىّ ، فى أعماق التابع الخاضع ..

وغمغمت (سلوى) فى ارتياع :

— كلَّا .. هذا مستحيل !!

فى حين ظل صوت (نور) حازمًا صارمًا ، وهو يقول :

— وهل ستقتلنا لمنع عودتنا إلى كوكبنا ؟

رفع الحكيم حاجبيه ، وهو يقول فى دهشة :

— أقتلكم ؟!.. ولماذا يا ولدى ؟.. ستعيشون معنا آمنين ، فى جنتنا التى صنعناها هنا و ..

قاطعه (نور) فى صرامة :

ـ تقصد أنك ستضعنا فى قفص من الذهب ؟!.. كلّا .. إننا نرفض عرضك هذا .

أشار الحكيم حوله ، وهو يقول :

ـ تطلّع حولك ياولدى .. إنكم ستحيون فى عالم مثالىّ ، لامكان فيه للأحقاد أو الخوف .. عالم كل ما فيه بديع جميل .

ابتسم (نور) فى سخرية ، وهو يقول :

ـ هل تصدّق أنت كلماتك هذه ؟.. إنكم لاتعيشون فى جنة ياجدّى ، وإنما فى سجن .. هذا المكان هو سجن القمر الحقيقى ، وأنتم المسجونون ، ولكن بكامل إرادتكم ، سجنتم أنفسكم فى سجنين : سجن خفى فى أعماق القمر ، وسجن من الخوف الذى يملأ نفوسكم من كشف أمركم .

قال الحكيم فى رقة وهدوء :

ـ إننا لانخشى كشف أمرنا ياولدى ، ولكننا نتحاشاه رأفة بكم ، فمازالت حضارتنا تفوقكم بقرون ، ولن تصمد أسلحتكم أمام أسلحتنا .

قال (نور) فى تحدّ :

ـ هل تراهن ؟

أجابه الحكيم فى وداعة :

ـ كلّا ياولدى .. لست أحبّ حتى أن تصل الأمور إلى مرحلة القتال ، فحتى لو هزمناكم سيفقد شعبنا وداعته وطيبته ، وسعود الشرور تملأ النفس مع نشوة النصر .

هتف (نور) فى جدّة :

ـ ولكننى أرفض البقاء هنا .

خفض الحكيم عينيه ، وهو يغمغم :

ـ يؤسفنى أنك لاتملك الرفض ياولدى .

وفجأة ، وفى حركة ماهرة سريعة ، انتزع (نور) مسدسه الليزرىّ الإضافى ، وصوّبه إلى رأس الحكيم ، قائلًا فى مزيج من السخرية والصرامة :

ـ بل أملكه أيها الحكيم ، وهذا هو الدليل .

ولكنه فوجئ بمسدسه يلتهب فجأة بين يديه ، فألقاه فى ألم ، وسمع صوت (فان) يقول فى هدوء ، وهو يعيد ذراعه الممسكة بأنبوب صغير إلى جواره :

ـ هل يكفى هذا البرهان العملى ، لتعلم أن أسلحتنا تفوق أسلحتكم كثيرًا أيها الأرضى ؟

حدجه (نور) بنظرة غاضبة ساخطة ، فى حين قال الحكيم فى هدوء وأسف :

ـ لن تجدى محاولاتك يا ولدى .. ستقضون ما بقى من حياتكم هنا معنا .. إلى الأبد .

* * *

جاء ردّ فعل (نور) سريعًا مباغتًا ، حتى أنه أدهش رفاقه أنفسهم .. فقد قفز فجأة إلى حيث يقف (فان) ، وأحاط عنقه بذراعه فى قوة ، فى حين لوى معصمه يده الأخرى خلف ظهره ، وهو يقول فى حِدَّة :

ـ أيتفوَّق شعبك فى هذا النوع من القتال أيضًا يا (فان) ، أم أن حياة الوداعة الطويلة قد أفقدت عضلاتكم قدرتها على الحركة ؟

تأوَّه (فان) فى ألم ودهشة ، وهو يقول :

ـ إنك تؤلم جناحىَّ أيها الأرضىّ .

ونهض الحكيم من فوق عرشه ، ورفع كفه وهو يقول فى أسًى :

ـ لماذا تصرُّ على تلويث جنتنا أيها الأرضىّ ؟

صاح (نور) فى حِدَّة :

ـ إننى أدافع عن حريتى وحرية رفاقى أيها الحكيم ، ولك أن تفعل ما شئت .. اطلب من رجالك قتلنا ، أو اتركنا نذهب فى سلام .



ـ جاء رد فعل (نور) سريعًا مباغتًا ، حتى أنه أدهش رفاقه أنفسهم .. فقد قفز فجأة إلى حيث يقف (فان) ، وأحاط عنقه بذراعه ..

غمغم الحكيم فى حزن :

ـ إننا لا نريق الدم هنا يا ولدى .

هتف (نور) :

ـ ولكنكم تريقون الحرية .

خفض الحكيم عينيه ، وعقد كفيه خلف ظهره لحظات ، ثم غمغم فى حزن :

ـ هذا ما كنت أخشاه ، لقد كان هروب (البنداريوس) فألًا سيئاً .

ثم رفع عينيه إلى (نور) ، وقال فى هدوء :

ـ هل يعد كل منكم بشرفه ، ألا يبلغ أمرنا للمسئولين فى كوكب الأرض ؟

سأله (نور) فى دهشة :

ـ وهل ستصدّق وعودنا ؟

أومأ الحكيم برأسه إيجابًا ، ثم غمغم فى أسف :

ـ ليس أمامى سوى ذلك أيها الأرضىّ . فلقد خاطرتم بأرواحكم وأنتم تسعون خلف (البنداريوس) ، والأبطال وحدهم يقدمون على مثل هذه المخاطرة ، من أجل الآخرين وهؤلاء الأبطال يقدّرون كلمة الشرف ، ولا يحنثون بوعودهم أبدًا .

تخلّى (نور) عن عنق (فان) وذراعه ، وتبادل مع فريقه نظرة حازمة ، ثم قال الجميع فى آن واحد :

ـ نعدك أيها الحكيم .. نعدك بشرفنا .

* * *

أشار (فان) برقته وهدوئه إلى بداية النفق ، الذى جاء منه (نور) وهو يقول :

ـ هنا نفترق أيها الأرضيون ، عودوا إلى عالمكم ، ولا تنسوا وعدكم أبدًا .

سأله (نور) فى اهتمام :

ـ وماذا لو قرّر غيرنا الهبوط عبر الفجوة ؟

ابتسم (فان) فى رقة ، وهو يقول :

ـ اطمئن ، ستنتهى الفجوة هنا ، وسيجدون أمامهم أطنانًا من الحجارة ، وبقايا جثة (البنداريوس) ، الذى ستدّعون أنكم عثرتم عليه وقتلتموه .

سألته (سلوى) :

ـ وماذا لو تساءل أحد عن سر غيابنا الطويل هذا ؟

أجابها فى وداعة :

ـ قولوا إنكم حاولتم إزاحة الصخور دون جدوى ،

أو قولوا إنكم اشتبكتم مع (البنداريوس) فى صراع طويل .. ستجدون المبرِّر ولا شك .

صافحوه فى حرارة ، وقال له (نور) :

ــ مازلت أصرّ على أنكم تخطئون كثيرًا بعزل أنفسكم فى هذا السجن الاختيارى .

ابتسم (فان) ، وهو يقول :

ــ دع لنا حرية اختيار الطريق أيها الأرضىّ .. إنك تؤمن بالحرية ، أليس كذلك ؟

أومأ (نور) برأسه إيجابًا ، وهو يقول :

ــ بلى .. من حقكم اختيار المصير الذى يروق لكم ..

وقبل أن ينصرف (نور) ورفاقه ، التفت (رمزى) إلى (فان) ، وسأله فى اهتمام :

ــ سؤال أخير يا (فان) .. ماذا كنتم ستفعلون ، لو أننا أخبرنا المسئولين ؟

بدت ابتسامة (فان) حزينة ، وهو يقول :

ــ كنا سننسف مدينتنا (لونا) أيها الأرضىّ .

اتسعت عينا (رمزى) فى مزيج من الدهشة والجزع ، وهو يغمغم :

ــ ياله من مصير !!

ثم عاد يصافح (فان) ، وهو يقول :

ــ لن ننساك أبدًا يا (فان) ، ولن ننسى شعبك .

غمغم (فان) بابتسامة عذبة رقيقة :

ــ نحن أيضًا لن ننساكم أبدًا أيها الأرضيون .

وافترق فريق الأرض ومندوب شعب القمر ، وبدأت رحلة العودة ..

العودة من سجن القمر .. إلى سجن القمر ..

* * *



١٣ ــ الختام ..

رقص قلب (فاسيلوف) بين ضلوعه ، ولم يصدِّق عينيه من فرط سعادته ، حينما رأى (نور) وفريقه يغادرون الحفرة فى أمان ، فأسرع إليهم يصافحهم فى جذل وحرارة ، وهو يهتف :

ــ حمدًا لله على عودتكم سالمين أيها الأبطال .. حمدًا لله .

وأسرع يقودهم إلى حجرته ، وهو يربِّت على ظهر (نور) فى حرارة ، ويقول :

ــ كنت أعلم أنكم ستعودون .. كنت أعلم ذلك .

جلس الجميع فى حجرته بثياب الفضاء ، والتقط هو من ثلاجته الخاصة زجاجة ، صب بعضًا من السائل الذى يملؤها فى عدة أكواب ، وقدَّم أحدها إلى (نور) ، وهو يقول :

ــ سنحتفل بعودتكم سالمين .

غمغم (نور) مبتسمًا :

ــ إننا لا نتناول (الفودكا) يا سيادة العقيد ..

ابتسم (فاسيلوف) ، وهو يقول :

ــ ولا أنا .. إنه عصير برتقال مثلَّج .

تناول (نور) الكوب فى دهشة ، وهو يغمغم :

ــ عصير برتقال ؟!

توَرَّد وجه (فاسيلوف) ، وكأنه يشعر بالخجل ، وهو يقول :

ــ لقد توقَّفت عن شرب (الفودكا) ، وعن أشياء أخرى كثيرة بفضلكم .

تطلَّعوا إليه فى دهشة ، فى حين استطرد وهو يسألهم فى حماس :

ــ والآن ماذا فعلتم هناك ؟

تبادلوا نظرات حذرة ، ثم هزَّ كتفيه ، وقال :

ــ لقد عثرنا على (البنداريوس) ، واشتبكنا معه فى صراع طويل ، ونجحنا أخيرًا فى قتله و ..

قاطعه (فاسيلوف) فى دهشة :

ــ (البنداريوس) ؟!.. هل تقصد ذلك الوحش ؟

احتقن وجه (محمود) ، وارتبك ، فى حين أسرع (نور) يقول فى هدوء :

ــ نعم .. إنه يقصد ذلك .

لاح الشك فى عينى (فاسيلوف) ، وهو يغمغم :

— وكيف عرفتم اسمه ؟

أجابته (سلوى) فى سرعة :

— إنه اسم مجازى ، أطلقناه نحن عليه .

غمغم (فاسيلوف) فى شك :

— أطلقتموه عليه ؟

ثم اتجه إلى (محمود) ، وتحسّس الأربطة الناعمة الوردية ، التى تغطى جرح ذراعه ، وهو يسأله فى هدوء ، يحمل نبرات الريبة :

— من أين حصلت على هذه الأربطة العجيبة ؟

غمغم (محمود) فى ارتباك :

— لقد كنت أحملها معى و ..

قاطعه (فاسيلوف) فى هدوء :

— أين ؟.. فى زى الفضاء الرقيق ، أم فى الحقيبة التى أعطيناكم إياها ؟

أشاح (محمود) بوجهه ليخفى ارتباكه ، فى حين التفت (فاسيلوف) إلى (نور) ، وقال دون أن ينتظر جواب (محمود) :

— هل عثرت على مخلوقات القمر ، التى كنت تبحث عنها ؟

غمغم (نور) فى هدوء :

— لقد كان ذلك الوحش الذى قتلناه هو المخلوق الوحيد على كوكب القمر ، وربّما جاء من الأرض كما يقترح الدكتور (چان) .

مضت لحظة من الصمت ، و(فاسيلوف) يتطلّع إلى عينى (نور) فى شك ، وهذا الأخير يواجهه بعينين ثابتتين واثقتين ، ثم زفر (فاسيلوف) ، وعاد إلى مكتبه فى هدوء ، وجلس خلفه ، وتطلّع إلى أعضاء الفريق ، قبل أن يقول فى صوت هادئ متماسك :

— إنكم تخفون أمرًا ما .

ارتبك أفراد الفريق ، وحاول كل منهم أن يبعد عينيه عن عينى (فاسيلوف) ، الذى لم يلبث أن ابتسم فى ثقة ، وهو يقول :

— ولكن هذا لا يمنع احتفالنا بعودتكم سالمين .

وشرب كوب العصير دفعة واحدة ، كما كان يفعل مع (الفودكا) ..

* * *

استعدّ أفراد الفريق لمغادرة سجن القمر ، بعد أن وصل

مكوك الفضاء (نسر ٩) ليعيدهم إلى كوكب الأرض ، وصافحهم (فاسيلوف) فى حرارة ، وهو يبتسم قائلاً :

ـــ أراهن أن الدهشة لم تفارقكم بعد ؛ لأن (فاسيلوف) الذى وجدتموه حين عودتكم ، كان يختلف تمامًا عن ذلك الذى استقبلكم عند وصولكم إلى هنا .

ابتسمت (سلوى) فى وُدّ ، وهى تقول :

ـــ إننى أفضل الحالىّ يا سيادة العقيد .

تنهّد (فاسيلوف) فى ارتياح ، وناوله (نور) ورقة مطوية ، وهو يقول :

ـــ أعتقد أنه من حقك أن تمزّق هذا يا سيادة العقيد .

سأله (فاسيلوف) فى دهشة :

ـــ وما هذا ؟

ابتسم (نور) فى خجل ، وهو يقول :

ـــ تقرير عن (فاسيلوف) السابق ، لم يعد ينطبق على الحالى .

ابتسم (فاسيلوف) ، ومزّق الورقة دون أن يفضها ، وهو يقول :

ـــ ليس من شيمتى أن أطّلع على ما يخص غيرى .

ثم عاد يصافح (نور) فى حرارة ، وهو يقول :

ـــ لن أنسى شجاعتك وشجاعة فريقك أبدًا أيها الرائد .

أدّى (نور) التحية العسكرية ، وهو يقول :

ـــ شكرًا يا سيادة العقيد .

وظلّ (فاسيلوف) يؤدّى التحية العسكرية ، حتى ارتفع مكوك الفضاء فى طريقه لبدء رحلة العودة إلى كوكب الأرض ، ثم خفض يده ، وابتسم فى إعجاب ، وهو يغمغم :

ـــ وداعًا أيها الأبطال .. وداعًا أيها المصريون .

* * *

ابتعد مكوك الفضاء فى سرعة ، وبقى (نور) يتطلّع من نافذته إلى القمر ، الذى يتناقص حجمه فى اطّراد ، فاقتربت منه زوجته (سلوى) ، ومسّت كتفه بأناملها فى حنان ، وهى تقول :

ـــ فيم تفكّر ؟

أجابها فى خفوت :

ـــ فى شعب القمر .

ابتسمت فى حنان ، وهى تغمغم :

ـــ هل تشعر نحوهم بالإعجاب ؟

هزَّ رأسه وهو يقول :

ـ بل بالشفقة .

اقتربت من النافذة ، لتتطلّع بدورها إلى القمر ، الذى أصبح فى حجم بيضة كبيرة ، وهى تقول :

ـ إنهم يعيشون فى جنة من صنعهم على الأقل .

غمغم فى شرود :

ـ جنة ؟!

وشرد ببصره وذهنه لحظات ، ثم قال فى هدوء :

ـ هل تعلمين يا (سلوى) ؟.. هناك سؤال يقلقنى منذ غادرنا عالم (فان) والحكيم الأكبر .

سألته فى همس :

ـ ما هو ؟

صمت لحظة ، ثم أجابها فى صوت عميق :

ـ لقد أخذت أقارن بين عالمهم ، وعالم المساجين ، الذين يقوم طاقم (فاسيلوف) بحراستهم ، ووجدت نفسى أتساءل فى حَيْرَة ..

وصمت لحظة أخرى ، ثم أردف فى قوة :

ـ من منهما يستحق اسم (سجن القمر) ؟

* * *

[تمت بحمد الله]

رقم الإيداع ٣٢١٥